نبيّ الاخضرار

محمد سعيد الأمجد •

شَرفٌ عَلى شرفِ المآذنِ يهدرُ طفئَ الزمانُ، وَسرُّ وَعيكَ مُقمَرُ
يـا ألــفَ خـطـوةِ فـاتـحٍ نديانةٍ بدمِ المخاضِ، عَلى الممالكِ تعبرُ
وَوميضُ أمسٍ لمْ تزلْ همساتُه نغمَاتِ وحيٍ، ما طوتْها الأعصُرُ
ما غالها التعبُ المبرّحُ، أعشبت ألـقـاً، وأنــتَ رؤى عليها تنثرُ
عقباكَ، ها هي يستطيلُ جماحها أممٌ، وكفّكَ في المدائنِ تَمطرُ
مـاذا تـراك؟ وقـد دفنت لـدى صهيل الخيل سـراً، والبريئة تقبرُ!
ولدى غبار الحرب جمرة ثورةٍ صدئت مرايا السيفِ وهي تسعرُ
وطـأ (الـجـزيـرة) موهناً قـدم الـغـزاة، ونـام فـي أفيائها المتكبرُ
فطلعتَ فـي آفاقِها متوشِّحاً عشقاً، فصبَّ على ظماها الأبحرُ
وتـشـاءَب الأفـقُ القتيلُ غمامه لتعبّ أعـرقـه هــواكَ فيعمرُ
ويرشّ وجهَ الجدب مرأى واحة فيها اخـضـرار الأنـبـيـاءِ يقطرُ
يا أنت! شعري في هواك مسخّر وجمالُ وجهكَ آيـهُ والأسطرُ
ما الشعرُ؟ حين تعرش اللقيا (على خلقٍ عظيم) فالقصائدُ تقهرُ!
لكنني ولعٌ ـ كثغر الوحي ـ باسمك، مشرع الكَلمات، نحوك مبحرُ
كم قيّدَ الحرف الصدوق ولم يزلْ بمشانقِ الأضـلاعِ منهُ تبصرُ!
لا غرو، شعري قد توضأ من سنى عينيك، كيف بسيفِهم لا ينحرُ!
ومع الوريد تسير نبضاً ـ رحمةٌ ـ فجراً يشدّ على العيونِ فننظرُ
فجراً تزيحُ بهِ الضباب قوافل نـبـويـة سـمـراءُ لا تتقهقرُ
يا نغمةَ الـقـرآنِ، وهـج حروفه هَل ماسَ منكَ الخاطر المتحيّرُ؟
هـذي لغاه وعنفوان شموخهِ وصهيله الدامي، فأينَ المبصرُ؟

كلمة العدد

حصيلة تجربة

الأمين العام ٦

قرآنيات

تأصيل فكرة إعجاز القرآن

عادل عباس النصراوي ٨

المفهوم القرآني للغلو

محمد جواد فخر الدين ١٢

آمن الرسول

علامات آخر الزمان وعصر الظهور

سـعد حاتم مـرزه ٢٠

استطلاع المجلة

مرقد سعيد بن جبير.. إشراقة في عالم الإباء

حيدر الجـد ٢٦

واحة الأدب

الأثر النبوي في كلام الإمام علي(ع)

عباس علي الفحام ٤٦

قصيدة: التقي الخالد

عبد الأمير جمال الدين ٥٢

إضاءات السيرة

رأس الإمام الحسين(ع) المقطوع ومواصلته للرسالة

د. مشـكور العوادي ٥٤

حبيس سامراء

السيد محمد علي الحلو ٦٢

ص٧٨

ص١٢٠

ص٦٨

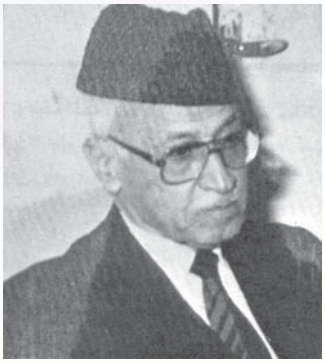

ص ٨٣

ص ٦٢

ص ٢٠

للفضيلة نجومها

موقفان في حياة الإمام السيد محسن الحكيم

حيدر المالكـي ٦٨

الشيخ صالح الكوّاز

خليل إبراهيم المشايخي ٧٨

شاكر هادي شكر من روّاد تحقيق التراث الإسلامي

كاظم عبود الفتـلاوي ٨٣

طروحات عامة

الدعاء.. ممارسة إنسانية أكدّها الإسلام

طالب علي الشرقي ٨٦

كتاب الجامعة أول مدوّن في الحديث

الشيخ حسن كريم الربيعي ٩٢

أصول المكتبة ومنهج البحث العلمي

د. حسين سامي شير علي ٩٨

الدولة الصفوية.. حقائق تاريخية

د. حيدر نزار السيد سلمان ١٠٤

الزهد والإسراف في البنيان

د. علي ثوينـي ١١٠

تحقيقات

مرقد العلامة الشيخ أحمد بن فهد الحلي

سلمان هادي آل طعمة ١٢٠

أجوبة مسابقة العدد (١٥) وأسماء الفائزين ١٢٨

مسـابقة العدد (١٧) ١٢٩

حصيلة تجربة

بسم الله الرحمن الرحيم

هـا نحنُ ندخل بحمدِ الله تعالى في سـنتِنا الرابعة ولازالت مجلـة (**ينابيع**) ترفد الأخوة القارئـين بـكلِّ مـا يتـاحُ لهـا مـن المقـالات الإسلامية حاملة بين جوانحها الدعوة لنشر التعاليـم الأصيلة التي جـاءَ من أجل نشرها النبيّ الأكـرم ﷺ وقد جاهـدت الإدارة في الحصـول على أكـبر عددٍ ممكن مـن المقالات كـماً وكيفـاً لترفـد قارئيهـا الكـرام ولتتابـع المسيرة طيلة هذه الفترة التي تعتبر فترة جيدة بالنظر لما يحيط بالبلد من العقبات والمشـاكل السياسية والاجتماعية وغيرها.

وقـد تمخضـت تجربتنا هذه عـن حصيلة أحببنـا أن ننـوّه إليهـا في مطلـع مجلتنـا هـذا العـدد لنوقـفَ المعنيين بالتوعيـة الدينية على واقـع لم يزل ولا يزال يـراود المثقف العراقي ويتعايَـش معه بشـكل يومي سـواءً الكتّاب منهم أم غيرهم.

إنّ تجسـيد الفكـرة وتدوينها عـلى الواقع الخارجـي بتحويلهـا مـن فكـرة ذهنيّـة إلى فكـرة مقروءة يحتاج إلى عدة سـياقات مترتبة يسـتعان ببعضها على بعض ويتوقف تدوين بعضهـا عـلى تدويـن البعـض الآخـر ومنـه يتحقـق التنامـي في عـرض المفهـوم الـذي يـراد عرضـه بجميع مفاصله ومـا يحتاج إليه مـن مقومـات موضوعه وهكـذا حتى يتحد المجمـوع فتصبح فكرة مقروءة تتضمن المبدأ والوسط والمنتهى بشكل منسق مفهوم.

وهذا السـياق بهذا الشـكل يعتمد ـ أولاً وبالـذات ـ عـلى وضـوح الفكـرة في الذهن على تشـعبها.. بل لابد أن تتكون الفكرة بهذا التشعب. ثم يبدأ الباحث أو الكاتب باختيار رأس الموضـوع يدونـه في قصاصـة بشـكل واضح ثـم يعتمد عـلى المصـادر التاريخية أو الأدبية بما يعينه على اسـتخلاص الرأي الذي يريـده والنتيجـة التـي ينبغي أن يصـل إليها لكـن غيـاب الطريقـة الصحيحـة في اختيار رأس الموضوع قد يسبب للباحث أو الكاتب الإرباك الشديد في تنامي الفكرة تدويناً، ونراه يتخبط بين الحين والآخر ليصل إلى المطلوب بشـكل قـد لا يرتضيـه حتى الكاتب نفسـه، ولا يعلم السـبب في ذلك، وقد يعلم السبب ولكنـه لا يعرف كيفية تـدارك أخطائه مما قد يسبب له وفي أحايين كثيرة توقفه عن الكتابة والتأخـر عن بيان الـرأي الذي يريـد إثباته.

وهـذه الحالـة الشـائعة عنـد الكتـاب لها أسباب كثيرة لا يهمنا الآن التعرض لها، بقدر ما يهمنـا التأكيد عـلى جانب واحـد وهو قد يكون أساسـاً في تذبذب الباحث أو الكاتب

وبقائه متأرجحاً بين عناوين بحثه.

وذلك هو قلة التمرس بالكتابة وقلة ممارسة تحويل المفاهيم المتبلورة في ذهن الباحث أو الكاتب إلى مفاهيم مقروءة موضوعة بين يدي القارئ بشكل جريء، لما نعلمه من أن التدوين يتطلب من الجرأة والتصميم ما تتطلبه الخطابة وغيرها من الأمور التي تتضمن عرض ما هو كامن في النفس من القدرات أمام الآخرين، وتحت متناول الجميع، ثم إن ما عليه الإنسان من الأنانية وحب الذات يفرض عليه أن لا يعرض على الآخرين كوامنه النفسية خشية الرفض وعدم القبول من الآخرين، وهذا عامل يساعد بشكل كبير على عدم الخوض في هذا المجال، ومنه تتقوقع النفس بشكل غير مرضٍ وتبقى الأفكار مخزونة في النفس لا يستفاد منها إن كانت صحيحة ولا تصحح إن كانت خاطئة. وهذا داء لو سرى إلى المجتمع بأكمله أو معظمه لرأيته مجتمعاً بليداً لا يعرف الرقي والتقدم بأدنى أشكاله.

وتجربتنا التي نريد التنويه لها في هذا العدد هو ما رأيناه طيلة هذه الفترة من هاجس الخوف عند الكثير من أخواننا الذين يحملون أفكاراً تحتاج إلى تدوين وعرض جريء، على ضوء ما ذكرناه آنفاً. وعليهم كسر حاجز الخوف الذي يراودهم في عرض المواضيع خصوصاً الإسلامية منها، حيث إنها مواضيع لها أسس رصينة يمكن للكاتب أن يعتمدها، ولا يخرج عن الصواب فيها إذا كان الخوف من ناحية الشعور بعرضها خاطئة على الآخرين، ولا ينكسر حاجز الخوف المشار إليه إلا بالتصميم على الكتابة بشكل أو بآخر، ونشره، حتى يصبح تحت نظر الجميع، ومنه يبدأ الكاتب باكتشاف أخطاءٍ جمة ولا يعني ذلك الإمساك عن التدوين، فإنّ العصمة لله تعالى ولمن عصمه الله، ولا يتسنى تصحيح الأخطاء الفكرية ما لم يتحقق الدخول في هذا المضمار باستمرار، والدخول في البحث، والتمحيص، والمقارنة، والنقد، وغير ذلك، مما يساعد على تبلور الأفكار العلمية والثقافية.

وكما أننا إذ نحثّ الكاتب أن يمارس عملية الكتابة ولا يتلكأ ولا يتردد ولا يتخوف نحث أصحاب الشأن من المعنيين بأمر الكتاب والمثقفين أن يساعدوا هذه الشريحة من المجتمع وينشروا لهم ما تجود به أقلامهم ولا يترفعوا عن ذلك بغية الحصول على كتابات لكتّاب أمتن في صياغة المفاهيم والأفكار العلمية حتى يستهلك الكاتب المرموق ويبقى الكاتب الفتي مغموراً، له من القدرات الكامنة قد ترقى به إلى كاتب يسجّل له التاريخ أروع الأفكار الدينية والثقافية. ومن ذلك يرتقي المجتمع الإسلامي إلى مصاف ذوي الثقافة العالية والمستوى المطلوب، والحمد لله ربّ العالمين ■

المشرف العام

تأصيل فكرة إعجاز القرآن

عادل عباس النصراوي •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع

بعد أن تطرقت في العدد (١٤) من مجلة (ينابيع) إلى فكرة إعجاز القرآن، وتناولت فيها جذور نشأتها منذ أن كانت في مهدها ثم نمت وتطورت بجهود المخلصين من علماء الإسلام ممن عرف عنهم رعايته لعلوم القرآن، وهاأنذا اليوم أواصل الحديث عن تأصيل هذه الفكرة إتماماً للفائدة.

لقد بدأت مرحلة التأصيل هذه عند ظهور أول كتاب يتناول هذه المسألة على وجه الإفراد، مع بزوغ فجر القرن الرابع الهجري.

ولعل أول من تصدى لشرح الإعجاز وبسط القول فيه هو أبو عبد الله بن يزيد الواسطي (ت٣٠٦هـ) في كتابه (إعجاز القرآن) بيد أنه فقد ولم يصل إلينا[١]، وقد شرحه عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) شرحاً كبيراً سماه (المعتضد) وآخر أصغر منه[٢]، ولا يبعد أن يكون الواسطي قد استفاد من كتاب الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) (نظم القرآن) ونبّه عليه حين صنف كتابه هذا.

ثم تصدى لهذه المسألة علماء آخرون منهم أبو الحسن علي بن عيسى

الرماني (ت٣٨٦هـ)، فألف رسالته (النكت في إعجاز القرآن)، ففصل القول في الإعجاز وجعل وجوهه تظهر في سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة.

بيد أنه أكد مسألة البلاغة في إعجاز القرآن وجعلها في ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فأعلاها طبقة في الحسن، بلاغة القرآن، وفصل فيها وأجاد، فيما اختصر الرماني في الوجوه الأخرى في الإعجاز[٣]، وكأنه يريد أن يقول بأن نظم القرآن وبلاغته أجلى الوجوه وأنصعها في بيان إعجاز القرآن وتحديه للعرب، أي أن التحدي يكون من جنس ما اشتهروا به، وهو البيان.

فيما عرض أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي (ت٣٨٨هـ) مسألة إعجاز القرآن هذه، وكان متردداً في وجه الإعجاز وذلك لأنه لم يصدر بعد، إذ قال: (قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديماً وحديثاً، وذهبوا فيه كل مذهب من القول، وما وجدناهم بعد صدروا عن رأي، وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن)[٤].

ثم ذهب إلى قول بعض الناس في إن علة الإعجاز تكمن في الصرفة، وتعد صحة المعجزة بأن تكون أمراً خارجاً عن مجاري العادات ناقضاً لها، وهذا وجه قريب عنده[٥]، لكنه استدرك ليدفع عن نفسه هذا القول بدلالة أن الآية تشهد بخلافه ـ حسب ما زعم ـ[٦]، وهي قوله تعالى: (لئن اجتمعت الإنس

والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)[٧].

فيما عد أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) أوجه الدلالة على إعجاز القرآن تكمن في ثلاثة أوجه[٨]: أولها: الإخبار عن الغيوب، وثانيها: أنه كان معلوماً من حال النبي محمدﷺ أنه كان أمياً لا يكتب، ولا يحسن أن يقرأ، وثالثهما: أنه بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه، وقد توسع في الوجه الأخير، مؤكداً فيه بديع نظم القرآن وعجيب تأليفه بما لا يمكن لبشر أن يأتي بمثل بلاغته وحسن تأليفه أبداً ونافياً بذلك مذهب الصرفة، جرياً وراء عادة أصحابه من الأشاعرة، وناقداً لسابقيه كالجاحظ وغيره في ذلك، وقد تبعه في هذا الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) وعقد لذلك في (الرسالة الشافية) فصلاً (في الذي يلزم القائلين بالصرفة) وأكد أنه يبعد أن يرتكبها العاقل ويدخل فيهان وذلك أنه يلزم عليه أن يكون العرب قد تراجعت حالها في البلاغة والبيان[٩].

وحدد القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت٤١٥هـ) على أن المعجز في كلام الله تعالى لا يتعلق بالنظم في مفهومه اللغوي وحده دون البلاغة[١٠]، فطريقة ضم الكلام معززة بالفصاحة التي هي جزالة اللفظ وحسن المعنى، هي الطريقة التي يتم بها إعجاز القرآن الكريم، وقد عبر عن النظم بأنه يظهر في طريقة مخصوصة، وأن يكون مع كل صفة، وهذه الصفة قد تكون بالمواضعة وقد تكون بالإعراب، وقد تكون بالموقع للكلمة في الجملة[١١]، وهذا يفضي إلى إمكانية استعمال اللفظة في العبارة بأكثر من طريقة وموقع لأجل إظهار المعنى المطلوب بأحسن الوجوه وأنصعها.

إن آراء القاضي عبد الجبار قد مهدت الطريق هي الأخرى للشيخ عبد القاهر الجرجاني في وضع نظريته في النظم.

أما الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ) فإنه يذهب مذهباً مخالفاً لأستاذه القاضي المعتزلي في كتابه (الموضح عن جهة إعجاز القرآن) والذي سماه مختصراً بـ(الصرفة) إلى القول بمذهب الصرفة، إذ جمع شتات آرائه المبثوثة في كتبه الأخرى وأبرز أدلته، متأثراً بشيخه المفيد (ت٤١٣هـ) الذي سبقه القول بهذا الوجه في إعجاز القرآن[١٢]، فألف كتابه (الصرفة) معارضاً به من سبقه القول بالنظم، بقوله: (بأن يسلب الله تعالى كل من رام المعارضة وفكر في تكلفها في الحال التي يتأتى معها مثل فصاحة القرآن وطريقته في النظم)[١٣].

وذهب إلى هذا المذهب كذلك الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) ثم عدل عنه إلى القول بالنظم والتأليف.

وقد توج هذه الجهود في التأصيل لفكرة إعجاز القرآن الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) عندما وضع نظريته في النظم في كتابه (دلائل الإعجاز) و(الرسالة الشافية)، إذ أنه وضع الأسس والمفاهيم لنظرية إعجاز القرآن من خلال نظمه العجيب وحسن تأليفه، وإن النظم عنده توخي

معاني النحو، فاستشهد بكثير من منثور كلام العرب وشعرهم، ورادعاً من قال بالصرفة مذهباً في الإعجاز.

إن الإعجاز عند الجرجاني يكون بطريقة نظم القرآن لكلماته، إذ إنها تكون على نسق واحد كانتظام حبات اللؤلؤ المنتظمة في سلك، ولكن يجب أن يكون هناك رابط يجمعه على هذا النظام المتسق، قال: (وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق، ولذلك كان عندهم نظيراً للنسيج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك)[١٤] الذي يبغيه الجرجاني من ذلك إظهار المعنى المطلوب بتمامه من خلال رصف الالفاظ وانتظامها تبعاً لإرادة المعنى (من حيث أن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنا لا محالة نتبع المعاني في مواقعها)[١٥]، وفق هذه السياقات وإن الخروج عنها يؤدي إلى فساد المطلوب.

بهذا يكون الجرجاني قد توج كل هذه الجهود بنظرية النظم التي تؤصل لفكرة إعجاز القرآن أما الذين جاؤوا من بعد هذه النخبة من العلماء فلا تعدو أفكارهم إلا اجتزاء من آراء من سبقهم في كلا المذهبين (الصرفة والنظم) خصوصاً، فلم يضيفوا شيئاً، ومن هؤلاء، ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) الذي لخص كتاب (دلائل الإعجاز) غير أنه خالف الجرجاني وقال بالصرفة، والزملكاني (ت٦٥١هـ) الذي ذهب إلى أن إعجاز القرآن منحصر في جهة ما فيه من الأنباء السالفة واللاحقة، وكذلك نظمه المخصوص، فيما اعتمد يحيى بن حمزة العلوي (ت٧٤٥هـ) على قول جهابذة العلم من قبله بعدما عولوا على ثلاث خواص هي الوجه في الإعجاز وتتمثل في فصاحة ألفاظ القرآن وجودة النظم وحسن السياق، والزركشي (ت٧٩٤هـ) فقد اضطرب رأيه في النظم وهو أميل منه إلى الصرفة، وأما السيوطي (ت٩١١هـ) فكان ناقلاً لمجموع هذه الآراء ومعدداً لأوجه الإعجاز فألف لذلك كتابه (معترك الأقران).

أما المحدثون من العلماء فإن الأعم الأغلب منهم يقولون بإعجاز القرآن في نظمه وحسن تأليفه فضلاً عن الأوجه الأخرى، ويعلنون فساد مذهب الصرفة ■

---

(١) انظر: د. صبحي الصالح، مباحث علوم القرآن، ٣١٤.
(٢) انظر: الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ١٥٢.
(٣) انظر: الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ١٠١ - ١٠٣.
(٤) انظر: الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ١٩.
(٥) انظر: نفس المصدر، ٢٠.
(٦) انظر: نفس المصدر، ٢١.
(٧) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.
(٨) الباقلاني، إعجاز القرآن، ٣٣-٣٢.
(٩) انظر: الجرجاني، الرسالة الشافية، ١٣٣.
(١٠) انظر: القاضي عبد الجبار، المغني (إعجاز القرآن)، ١٦/١٩٨-٢٠٠.
(١١) انظر: نفس المصدر، ١٦/١٩٩.
(١٢) انظر: الشيخ المفيد، أوائل المقالات، ٦٨-٦٩.
(١٣) الشريف المرتضى، الموضح عن جهة إعجاز القرآن، ٣٥-٣٦.
(١٤) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٤٩.
(١٥) نفس المصدر، ٥٢.

المفهوم القرآني للغلو

« الديانة اليهودية أنموذجاً »

محمد جواد فخر الدين •
كلية التربية/ جامعة الكوفة

تمهيد

لقد أشار الله في محكم كتابه العزيز و في مناسبات عدة إلى هذا المصطلح (الغلو) بما له من دلالة قوية ومؤثرة في نفوس المسلمين آنذاك بواقع الإرث الديني لمن انتحل الغلو من الغلاة الذين دخلوا في حظيرة الإسلام ولازالوا متمسكين ببعض العقائد التي لم تنجل من نفوسهم[1]، على أن مجمل الآيات القرآنية التي تصرح بذلك تعني: أن هناك فعلاً قد وقع من المسلمين يعكس ظاهرة الغلو، لذا فإن القرآن تعامل معه من مبدأ النهي عن المنكر، أو ليأكده طبقا للحوادث المكانية والزمانية التي وقع بها ذلك الحدث، أو تذكيراً بأحوال الأمم السابقة.

والمهم في هذه الآيات القرآنية اليهود (بنو إسرائيل) والنصارى (من أتباع مسألة أن المسيح هو الله) هم المعنيون دون غيرهم، كما أن هناك عدة آيات تتضمن تلميحاً يراد منه الاثنين سوية من (أهل الكتاب).

في حين نجد أن هذه الإشارة تكون مرة بالتصريح - أي بذكر كلمة غلو - كما ذكرنا آنفاً، وأخرى تضميناً بالمعنى العام للآية.

ومن خلال المفهوم القرآني الذي أعطى بعداً تاريخياً مهماً لجذور نشأة الغلو عند أهل الكتاب وبيّن من خلال الآيات القرآنية عناصر الغلو عند هؤلاء وكيف نشأ، وكيف تعامل معه وفق الجوانب الفكرية والاعتقادية وهذا ما سنتعرض له خلال دراستنا هذه لمصطلح الغلو عند أهل الكتاب متمثلا باليهود والنصارى؛ لكون منشأ الغلو قد بدأ عند أتباع هاتين الديانتين، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في أكثر من آية وآية.

بينما انطلق المعجميون في تناولهم الغلو من الآيات القرآنية من جهة، ومن جهة أخرى كان هذا الاهتمام ناشئاً بعد بروز ألوان من التناقض العقائدي والفكري في جسم الأمة الإسلامية، لذا كانت دراسة هذا المصطلح من قبل علماء اللغة بامتداداته المتعددة يعكس بلا شك مدى العمق العقائدي الذي يرتكز عليه، والأهمية التي اكتنفته خلال أدواره التاريخية، من حالات الازدهار والركود.

الفراهيدي من معجميي القرن الثاني للهجرة شرح هذا المصطلح بقوله: (وغلا الناس في الأمر، أي: جاوزوا

حده، كغلو اليهود في دينها. ويقال: أغليت الشيء في الشراء، وغاليت به. والغالي يغلو بالسهم غلوا، أي: ارتفع به في الهواء، والسهم نفسه يغلو. والمغالي بالسهم: الرافع يده يريد به أقصى الغاية، وكل مرماة منه غلوة... وغلا الحب ازداد وارتفع)[٢].

فالغلو فيما ذكره الفراهيدي هو مفهوم مرتبط بتجاوز الحد، وقد أعطى مثالاً دقيقاً استطاع من خلاله أن يوصل القارئ إلى المفهوم الذي حاول أن يربطه بالغلو وهو غلو اليهود في دينهم، واعتماداً على ما ذكره القرآن الكريم، ومن جانب آخر أكد على حقيقة أخرى وهي أن الغلو هو الازدياد والارتفاع في الحب بالنسبة للأشخاص، ويمكن الاقتراب من هذا المعنى قول الرسول صلى الله عليه وآله في الإمام علي عليه السلام: (يهلك فيك رجلان محب مفرط وكذاب مفتر)، وقال له: (تفترق فيك أمتي كما افترقت بنو إسرائيل في عيسى)[٣]، وهذا تقييد للمحب الذي يقتحم ورطة الهلاك بمجاوزة الحد في المحبة إلى حيث ينتهي إلى درجة الغلو، والثاني بيان وتفسير للمبغض الهالك إلى حد النصب والمعاداة[٤].

بينما ربط ابن سلام الذي تمثل أفكاره المعجمية القرن الثالث الغلو بطريق آخر حيث يقول: (إن الغلو في العلم سيئة، والتقصير عنه سيئة، والحسنة بينهما وهو القصد; كما جاء في الحديث الآخر في فضل قارئ القرآن: غير الغَالي فيه ولا الجافي عنه; فالغلو فيه التعمق، والجفا عنه التقصير، وكلاهما سيئة)[٥].

هذا يعني موقفاً من المفكرين المسلمين حيث يرى أن الغلو هو التعمق، والتعمق هو المبالغة في طلب الشيء، والمعنى أن المبالغة في طلب القدر والغوص في الكلام، وهذا ما أشار أليه الإمام علي عليه السلام فيما نصه: (والغلو على أربع شعب: على التعمق بالرأي، والتنازع فيه، والزيغ، والشقاق، فمن تعمق لم ينب إلى الحق ولم يزدد إلا غرقاً في الغمرات ولم تنحسر عنه فتنة إلا غشيته أخرى وانخرق دينه فهو يهوي في أمر مريج[٦]، ومن نازع في الرأي وخاصم شهر بالعثل[٧] من طول اللجاج، ومن زاغ قبحت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة ومن شاق أعورت عليه طرقه واعترض عليه أمره، فضاق عليه مخرجه إذا لم يتبع سبيل المؤمنين)[٨].

واليهود من الديانات السماوية التي ظهر فيها الغلو واضحاً، والذي يبحث في نصوص القرآن يجد هناك شواهداً كثيرة تشير إلى غلو اليهود، فقد رسم لنا القرآن الكريم حالات الغلو عند اليهود بصورة دقيقة وفق مراحلها وأطوارها التاريخية والزمنية، إذ أن الله سبحانه وتعالى تناول هذه المراحل

العقدية التي مروا بها ووصلوا فيما بعد إلى الإشراك بالله تعالى، وكشف عن جميع جوانبها وأبعادها.

وبين الله سبحانه وتعالى من خلال هذه الآيات حالة اليهود النفسية والفكرية والسلوكية وكيف وقفوا للحق معاندين ومستكبرين، ساخرين ومستهزئين جاحدين لنعم الله وفضله ومحاربين لله ولرسله.

والآيات القرآنية التي تؤشر الغلو عند اليهود هي كالآتي:

(وَجاوَزْنا بِبَني إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلى أَصْنامٍ لَهُمْ قالُوا يا مُوسَى اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)[٩].

ونستقرئ من هذه الآية القرآنية بدايات الغلو عند اليهود وفي مسألة مهمة وهي التوحيد والتي تعتبر من الأركان الرئيسية للإيمان، والتي نادى بها موسى عليه السلام، لكن الإرث العقائدي يبدو أنه لم يزل متغلغلاً في نفوسهم على الرغم من مشاهدتهم الآيات والأعلام، وخلاصهم من رق العبودية، وعبورهم البحر، ومشاهدة غرق فرعون، وهذه غاية الجهل، وهذا ما ذكره الإمام علي عليه السلام لبعض اليهود بقوله: (ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه، فقال له: إنما اختلفنا عنه لا فيه، ـ فقال الإمام عليه السلام ـ: ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم: (اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)[١٠].

(وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَاخْتُلِفَ فيه وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ)[١١].

(وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى مِنْ بَعْدِه مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكانُوا ظالِمينَ)[١٢].

(وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِه يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[١٣].

(إِنَّ الَّذينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذِلَّةٌ في الْحَياةِ الدُّنْيا وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرينَ)[١٤].

(وَلَقَدْ جاءَكُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِه وَأَنْتُمْ ظالِمُونَ)[١٥].

إذا لاحظنا هذا المحور المهم الذي تعرض له القرآن بالنسبة للبناء العقيدي لليهود وعملية الرجوع والعودة إلى ما كانوا يعتقدون، أو الإرث الديني الذي لم يزل راسخاً في باطنهم حيث لم يستطيعوا أن يتخلصوا منه، لذا يمكن أن يقال: إن إيمانهم بشريعة موسى عليه السلام لم يكن إيماناً فعلياً قد تغلغل في داخلهم وتسرب إلى أفكارهم، بل كان إيمانا سطحياً لأن حادثة واحدة مثل هذه استطاعت أن تهز أفكارهم وتغير بناءهم العقيدي الجديد خلال ليلة وضحاها، ويمكن أن نقترب أكثر من محور هذا الموضوع إلى ما ذكره المفسرون حول هذا الانقلاب العقيدي الذي أصاب اليهود، حيث ركزوا على الأمور الآتية:

أولاً: حالة الجهل لأن الإنسان يحنّ إلى ما يراه عند غيره، فيحب أن يكون له مثل ما لغيره. وفي هذا دلالة

على عظيم جهلهم بعدما رأوا الآيات المترادفة ، والمعجزات، من حيث توهموا أنه يجوز عبادة غير الله تعالى، ولم يعرفوا أن المجعول لا يكون إلهاً وأن الأصنام لا تكون آلهة[١٦].

ثانياً: ويرى بعض المفسرين أنهم قد ظنوا أنه يجوز أن يتقرب إلى الله تعالى بعبادة غيره، وإن اعتقدوا أنه لا يشبه الأشياء، ولا تشبهه، ولم يكونوا مشبهة كما حكى الله سبحانه عن المشركين أنهم قالوا: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللّه زُلْفَى)[١٧].

ثالثاً: الإرث الديني، إذ كانوا قوماً يعبدون الأوثان فتأثرت من ذلك أرواحهم وإن كانت العصبية القومية تحفظ لهم دين آبائهم بوجه. ولذلك كان جلهم لا يتصورون من الله سبحانه إلا أنه جسم من الأجسام بل جوهر ألوهي يشاكل الإنسان كما هو الظاهر المستفاد من التوراة الدائرة اليوم، وكلما كان موسى يقرب الحق من أذهانهم حولوه إلى أشكال وتماثيل يتوهمون له تعالى، لهذه العلة لما شاهدوا في مسيرهم قوماً يعكفون على أصنام لهم استحسنوا مثل ذلك لأنفسهم فسألوا موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً كما لهم آلهة يعكفون عليها[١٨].

لذا يمكن اعتبار ما ذكره المفسرون هو المقومات الأولى للغلو في الإنسان في جميع أطواره العقيدية، من حيث البناء الفطري للعقيدة في داخلة ومن ثم انتقاله إلى عقيدة أخرى تختلف في جميع المضامين عما كان يعتقده، ولاشك أن تبقى في داخله بعض الرواسب محاولاً نقلها ومزجها بصورة إرادية أو غير إرادية مع المعتقدات الجديدة.

من هنا نرى أن ميل اليهود للفكر الوثني جعلهم يتركون التوحيد، ويتوجهون لعبادة آلهة أخرى، لدرجة أنهم عبدوا العجل، وموسى عليه السلام لا يزال موجوداً بين ظهرانيهم، وعلى الرغم من أن العقيدة اليهودية تتضمن نزعة توحيدية قوية لكن هيمنت الحلولية على العقيدة اليهودية فأصبحت عقيدة توحيدية اسماً، حلولية فعلاً، وأصبحت فيما بعد ذات نزعة غنوصية قوية.

مع العلم أن الكتاب المقدس لدى اليهود وهو التوراة حافل بكثير من المتناقضات، حيث إن تصنيف التوراة قد بدأ جمعها بعد عهد موسى بقرون، وأن الجُماع والمصنفين كانوا مختلفين مزاجاً ومَشْرباً، ودلّت على ذلك بأدلة هامة، لعل أخطرها ولا يقبل جدلاً، أن اسم الإله وطبيعته وعلاقته باليهود، يختلف ما بين سفر وآخر، إضافة إلى تكرار القصص في الأسفار، مما يشير إلى أن المصنفين لم يلتقوا معاً، ليصفوا ما بينهم من خلافات حادة في التفاصيل، هذا مع فروق واضحة وعميقة إلى حد التنافر التام في اللغة والأسلوب بين هذه الأسفار[١٩].

في حين نجد أن مؤرخي التوراة، قد اختلفوا فيما بينهم، حول جمع مادة هذا الكتاب وتوقيتها، حيث لم يكتب بيد مؤلف واحد في عصر واحد لجمهور واحد، بل قام بهذه المهمة مؤلفون كثيرون، في عصور متباينة، لجماهير تتباين مزيجاً ومزاجاً، حيث امتدت هذه العملية إلى أكثر من ألف

عام، وقدر البعض تاريخ الانتهاء منها حوالي ٤٤٠ ق.م[٢٠]، وربما في تقدير آخر، حتى القرن الأول قبل الميلاد[٢١]، بينما تذكر بعض المصادر أنّ اليهود قد أعادوا كتابة التوراة في بابل أثناء السبي البابلي لليهود أيام (نبوخذ نصر)[٢٢].

وقد ساعد اليهود على الإحاطة بثقافات وتراث المنطقة وتحميله للتوراة، من خلال الهجرات المتكررة إلى بلاد وادي الرافدين وإلى مصر، مما أدى إلى زيادات وتراكمات اصطبغت مع كل ارتحال بلون جديد، مما أدى بباحث متحيز لليهود مثل (إيغار لسنر) إلى الاعتراف باحتواء التوراة على متنافرات عديمة الاتساق والتمازج، بقوله: (أن تابوت العهد، يعود بنا إلى مساكن آلهة النيل المتنقلة، وآثار السحر ترجع بنا إلى مصر، كلما تذكرنا قصة الطوفان والأرقام الغامضة ببابل، ويصير الإله البابلي (جلجامش نمرود)، وتصبح ثيران أشور المجنحة (كروبيم العبريين)، كما أن أسطورة الجنة، وشخصية الشيطان (أهريمان) وعالم الملائكة ورؤساء الملائكة، تعيد إلى أذهاننا بلاد الفرس، ونتعرف على البعل في إله الفينيقيين والكنعانيين في أسماء (إشبعل) و(مربعل). لقد كان الفلسطينيون الذين يحتمل أنهم وفدوا أصلاً من كريت، ينظرون إلى اليمامة أصلا كإله، أما السمكة التي عُبِدَت في عسقلان، فتظهر في قصة يونان)[٢٣].

بينما يرى عالم السومريات (كريمر) أن كل آراء السومريين في الكون والدين قد انتقلت بتفاصيلها إلى التوراة، وذلك عبر البابليين الذين سبق وورثوا التراث السومري وشذبوه وقدموه إلى الدنيا[٢٤].

وهناك آيات أخرى تشير إلى ظاهرة الغلو عند اليهود كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[٢٥].

إن التصوير القرآني لليهود كان في غاية الدقة حيث بين حالة الانسلاخ والاتجاه نحو الأهواء، لذا مثلهم بالحمار يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها ولا يعمل به، فبنو إسرائيل أنزل الله التوراة على رسولهم موسى عليه السلام فعلمهم ما فيها من المعارف والشرائع فتركوها ولم يعملوا بها فحملوها ولم يحملوها فضرب الله لهم مثل الحمار يحمل أسفاراً وهو لا يعرف ما فيها

من المعارف والحقائق فلا يبقى له من حملها إلا التعب بتحمل ثقلها[٢٦].

(وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّه مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْديهِمْ وَلُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّه وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَساداً وَاللّه لا يُحِبُّ الْمُفْسِدينَ)[٢٧].

(وَقالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّه وَقالَتِ النَّصارى الْمَسيحُ ابْنُ اللّه ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِونَ قَوْلَ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللّه أَنَّى يُؤْفَكُونَ)[٢٨].

إذن فالغلو الذي رسمت تلك الآيات الكريمة حدوده الفلسفية والدينية حيث يتمثل بمحورين أساسين ومهمين جداً، ربما كان لهما تأثيرات واضحة على الغلو النصراني.

أولهما: اعتقاد اليهود بأن لهم صلة أو صلات وثيقة مع الله تعالى، وأن هذه الصلة دفعتهم إلى تصورات فلسفية يرتفعون بها عن بشريتهم وأنسيتهم إلى درجة أسمى تحقق لهم محاكاة الله تعالى وتوجيه انتقادات لاذعة بما يتعلق بصفات الباري عز وجل، كالإرادة والقدرة، ونفي الصفاتية عنه وهذا الاتجاه يعدُ أمراً في غاية الكبرياء والمبالغة، وهما عنصران أساسيان في أن يندفع صاحبه إلى أن يرى في نفسه جوهراً يختلف عن الإنسان العادي.

ثانيهما: وهو عنصر لا يقل أهمية عن سابقه ألا وهو التجسيد، الذي من الممكن القول فيه إنه أسمى حالات الغلو عند الغلاة في التاريخ الإسلامي. يجد فيه المرء أن الله يتجسد في حيوان كالعجل حيث يؤدون إليه مراسيم القداسة والعبادة.

ويدخل ضمن المبدأ التجسيدي الأول من نوعه في الديانة اليهودية مبدأ الأبوة والابن، العلاقة بين العزير أنه ابن الله، وهو تجسيد من نوع أمري يدخل فيه عنصر الحلولية، فالله هو الله وابنه النبي هو العزير الله في الدرجة الثانية.

وهذا هو المبدأ الآخر قد أنتج فيما بعد فلسفة الحلول عند الغلاة المسلمين، ناهيك عن تأثيره الواضح في فكرة المسيح ابن الله فهو كالعزيز ابن الله. الأبوة والبنوة ■

---

(١) لمزيد من المعلومات ينظر: William M. Watt، Islam and the Integration of Society، (Great Britain، ١٩٦١)، pp.١٠٤-١٠٦.

(٢) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد ت ١٧٥ هـ، العين، تحقيق د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بلا، ٨/٤٤٦- ٤٤٧ .

(٣) الإسكافي، أبو جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي (ت ٢٢٠هـ)، المعيار والموازنة، تحقيق محمد باقر المحمودي، د.ت ، بلا، ص٣٢ .

(٤) الداماد، محمد باقر الحسيني، (ت ١٠٤١هـ) ، الرواشح السماوية في شرح الأحاديث الإمامية، مكتبة السيد المرعشي، قم ١٤٠٥هـ ، ص١٣٢.

(٥) القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ)، غريب الحديث، تحقيق محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٦هـ، ٢/٢٩.

(٦) المَريجُ: المُلْتَوي الأَعْوَجُ. ومَرِجَ الأَمرُ مَرَجاً، فهو مارِجٌ ومَرِيجٌ: الْتَبَسَ واخْتَلَطَ. وفي التنزيل: (فهم في أَمْرٍ مَرِيج) ؛ يقول: في ضلالٍ، أي: في أَمرٍ مُخْتَلِفٍ مُلْتَبِسٍ عليهم. ابن منظور ، ٣٦٥/٢ .

(٧) العثل: الأَحْمق، وجمعه عُثُلٌ، ابن منظور، المصدر نفسه ، ٤٢٤/١١ .

(٨) الهلالي، سليم بن قيس الكوفي (ت ٨٠هـ)، كتاب سليم، دار الهادي، قم ١٤١٥هـ، ص٩٥٠؛ الثقفي، إبراهيم بن محمد (ت ٢٨٣هـ)، الغارات، تحقيق جلال الدين المحدث ، مطبعة بهمن، إيران، ١٤٢/١؛ الحراني، الحسن بن شعبة (ت القرن الرابع الهجري)، تحف العقول، تحقيق علي أكبر غفاري، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران ١٤٠٤هـ، ص١٦٦، الحر العاملي، وسائل الشيعة ،تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مطبعة مهر، قم ١٤١٤هـ ، ٣٤٢/١٥ .

(٩) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.

(١٠) ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد بن هبة الله المعتزلي (ت٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، قم، ٢٢٥/١٩.

(١١) سورة هود، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٢.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٩٢.

(٦) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ ، ٦٠/٩-٦١ ؛ الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت٥٦٠هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق لجنة من العلماء، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤١٥هـ، ٣٤٧/٤؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت ١٤١٢هـ ، ٢٥٣/٢ .

(٧) سورة الزمر، الآية:٢، الطبرسي، تفسير، ٣٤٧/٤.

(٨) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤٠٢هـ، ٢٤٣/٨.

(١٩) موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب السيد بكر، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة ١٩٥٧م، ص١٥٧.

(٢٠) فريحة، أنيس، دراسات في التاريخ، دار النهار، بيروت ١٩٨٠م، ص ١٩٨.

(٢١) السواح، فراس، مغامرة العقل الأولى، دار الكلمة، ط٢، بيروت ١٩٧٩م، ص١٠٨.

(٢٢) .

(٢٣) الماضي الحي، ترجمة شاكر إبراهيم سعيد، الهيئة المصرية العاملة للكتاب، القاهرة ١٩٨١م، ص١٤٢.

(٢٤) لمزيد من المعلومات تفصيلاً إلى أهم كتبه المترجمة ينظر: كريمر، صموئيل نوح: السومريون، تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة فيصل الوائلي، وكالة المطبوعات، الكويت؛ الأساطير السومرية، ترجمة يوسف عبد القادر داود، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧١ م؛ من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٧١م.

(٢٥) سورة الجمعة، الآية: ٥.

(٢٦) الجصاص، أبي بكر أحمد بن علي (ت ٣٧٠هـ)، أحكام القرآن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ، ٦٠٧/٢، الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب، ط١، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، إيران ١٤٠٩هـ،٥/١٠، القرطبي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٥هـ، ٩٤/١٨-٩٥.

(٢٧) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٢٨) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

علامات آخر الزمان وعصر الظهور في الفكر الإسلامي

سعد حاتم مرزه •
باحث وكاتب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ سورة طه: ١٥.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ سورة محمد: ١٨.

تمهيد

من أحد شروط تفسير القرآن الكريم الذي أشار إليه الأئمة الهداة عليهم السلام والتي اعتمدها معظم المفسرين هو تفسير النص القرآني اعتماداً على نص آخر ونصوص أخرى، فالقرآن يفسر نفسه بنفسه، فالنصان أعلاه يخص كل منهما موعد قيام (الساعة) أو فناء الإنسان على الأرض وأحداث يوم القيامة، فيراد بالنص (أكاد أخفيها) هو أن الخفاء يكاد لا يكون تاماً فهي تحين إذا (جاء أشراطها) فإذا تحققت الشروط أو العلامات الواردة في القرآن الكريم أو الموضحة لها المنقولة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة الهداة عليهم السلام، فقد اقترب موعد (الساعة) ولكنها تأتي بغتة بعد وقوع هذه العلامات دون مقدمات ولا

يمكن تحديد موعد حدوثها من اليوم أو في الليل تحدث أم في النهار؟ فمادامت هذه العلامات لم تقع فيمكن التأكيد بأن موعد حدوث (الساعة) لازال غير محتمل أو غير قريب الحدوث.

وقد حرص الأئمة الهداة عليهم السلام على تحصين شيعتهم عن الانحراف ومن الوقوع في ضلالات الفتن ومزاعم المنافقين، فقد حددوا أنواع الفتن قبل حدوثها بدءاً من انتهاء عصر الرسالة وحتى موعد قيام الساعة، موضحين أصحاب الحق من الباطل، فكانت علامات عصر الظهور وعلامات آخر الزمان، خصوصاً السماوية منها والمحتومة، بين الوسائل التي أوضحها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام لكي لا يصدقوا أدعياء المهدي المنتظر (عجل الله فرجه) ومزاعم النيابة ودعاوى رؤية الإمام المنتظر (عجل الله فرجه)، فمادامت العلامات لم تقع فلا يمكن تصديق ظهوره (عجل الله فرجه) فلا مجال للالتزام بما يزعم المنافقون.

أهم - كما أرى - علامة سماوية تسبق ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه) ما نقل عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: (آيتان

تكـون قبل قيام القائم (عجل الله فرجه) لـم تكونـا منذ هبـط آدم إلـى الأرض، تنكسـف الشـمس في النصف من شهر رمضان والقمر في آخـره، فقال الرجل: يـا ابن رسـول الله، تنكسـف الشـمس في آخـر الشـهر، والقمر فـي النصف؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: إنـي أعلم ما تقول، ولكنهمـا آيتـان لـم تكونـا منـذ هبط آدم عليه السلام.

إن اعتراض الرجل يشـير إلى السـنن الفلكيـة في مواعيد حدوث الكسـوف والخسـوف نتيجـة دوران القمـر حـول الأرض ودوران الأرض حـول الشـمس، التـي حـددت موعد كسـوف الشـمس في نهاية الشـهر القمـري حصراً وموعد خسوف القمر في منتصف الشهر القمري حصـراً، فـلا يمكـن تغييـر المواعيـد بموجب النظام الفلكي في دوران القمر والأرض في الفضاء إلا بآية من الله تعالى، فكانت آية من علامات الظهور، فلكية تخص موعدي الخسـوف والكسوف في موعديـن لا يمكـن لعلماء الفلـك التنبؤ بهما أو تحديد الموعدين مسبقاً.

إن آيتـي الخسـوف والكسـوف، بمـا أنهمـا تخصان علـم الفلـك، فلعلهما تتزامنان مع آية أخرى هي طلوع الشـمس من مغربهما وقـد وردت أحاديث كثيرة في ذلك عن الرسـول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام في تفسـير قوله تعالـى: (هَلْ يَنظُـرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُـمْ الْمَلاَئِكَـةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّـكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْـضُ آيَـاتِ رَبِّكَ يَـوْمَ يَأْتِي بَعْـضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًـا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَـبَتْ فِـي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ)[1].

فعن الرسـول صلى الله عليه وآله قـال: (يـا عباد الله توبوا إلى الله بقراب، فإنكم توشكون أن تروا الشـمس من قبـل المغرب، فإذا فعلـت ذلك حبسـت التوبة وطـوي العمل وختم الإيمان)، ثم قال صلى الله عليه وآله في آية (علامة) ذلـك: (إن آية تلكم الليلة أن تطول ثلاث ليـال... فبينمـا هـم ينتظرونهـا إذا طلعت عليهم من قبل المغرب، وفي حديث آخر بـأن أول تلـك الآيات طلوع الشـمس من مغربها وخروج الدابة ضحى... الخ.

وخروج الدابة من العلامات المحتومة التي أشار إليها القرآن الكريم وذلك قوله تعالى: (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنْ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ)[2].

وقد وردت أحاديـث متناقضة ومبالغ فيهـا في وصف الدابـة أعرضنا عنها لأننا نـرى فيهـا علامـات الوضـع والافتـراء واضحـة، فتكتفـي بالنـص القرآنـي لوضوحه ودقته.

وهنـاك علامة سـماوية أخرى وردت بتفاصيل مختلفة فـي كتب الحديث عن المعصومين عليهم السلام يمكـن الجمـع بينهـا والتي أطلـق عليها (الصيحة من السـماء) ففـي بعـض النصـوص أن جبريـل عليه السلام يصيح صيحة في السـماء صباحاً يفزع لها كل النـاس ويسـمع كل قـوم الصوت بلغتهـم، وفـي أحداهـا أن نـص الصوت يتضمـن (أن الحـق في آل محمـد) أو (أن المهـدي المنتظر قد ظهـر)، بينما يصيح الشيطان عصراً، ليكون فتنة للمنافقين، بـأن الحق في آل فلان، فطلب الأئمة عليهم السلام من شيعتهم عدم تصديق صيحة الشيطان.

والخسـف بالبيداء بجيـش يتوجه إلى الحجـاز بعد ظهور الإمـام المهدي (عجل الله فرجـه) من بين العلامات المهمة التي

وردت في تفسير قوله تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلاَ فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ)[٣].

وأوضح ما جاء في تفسير النص حديث الإمام أبي جعفر عليه السلام بما موجزه بأن القائم (عجل الله فرجه) سيظهر ويسند ظهره إلى الحجر ثم ينشد الله حقه، ثم يصلي ركعتين في المقام فيبايعه أصحابه وهم (٣١٣) رجلاً، فمن كان ابتلي بالمسير وافى، ومن لم يبتل بالمسير فقد عن فراشه وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام: (هم المفقودون عن فرشهم وذلك قول الله: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا)[٤] قال: الخيرات الولاية).

ثم قال عليه السلام بعد كلام آخر: (وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ)[٥] وهم أصحاب القائم يجتمعون إليه في ساعة واحدة، فإذا جاء إلى البيداء يخرج إليه جيش السفياني، فيأمر الله عز وجل الأرض فتأخذ بأقدامهم وهو قوله عز وجل: (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلاَ فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ)[٦] يعني بالقائم من آل محمد صلى الله عليه وآله.

وهذا يعني أن جيش السفياني هم المقصودون (بالآية: ٨، سورة هود) أعلاه، فقد أخر الله تعالى عنهم العذاب حتى ظهور القائم (عجل الله فرجه) الذي أمنوا به بعد وقوع الآية الكبرى التي لا تنفع مع اليأس حيث كانوا قد كفروا به أو أنكروه قبل ذلك، وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام في حديث آخر أن المراد بالبيداء هو بيداء المدينة حيث يخسف بالجيش.

وعندما يظهر الإمام المهدي (عجل الله فرجه) يحيي الله عز وجل له بعض المؤمنين ليكونوا أنصاراً له وحكاماً كما يحيي أعاظم الكفار والمنافقين ليتم الانتقام منهم، ففي (الإرشاد) ضمن بعض الأحاديث: يخرج معه أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبو دجانة الأنصاري، والمقداد، ومالك بن الأشتر فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً.

أما النص القرآني المؤيد لإحياء بعض الأموات والتي سميت بالرجعة هو: (وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لاَ يَنطِقُونَ)[٧].

فعن الرسول صلى الله عليه وآله بأن المهدي (عجل الله فرجه) يسلم على أصحاب الكهف فيحييهم الله له، وعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام في رده على قول الناس من الآية أعلاه: (بأنه في يوم القيامة، فقال عليه السلام: ليس كما يقولون، إنها في الرجعة، أيحشر الله في القيامة من كل أمة فوجاً ويدع الباقين؟ إنما آية القيامة: (وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا))[٨].

والنص التالي من القرآن الكريم يشير إلى علامة أخرى من علامات (الساعة): (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[٩] وقد تحقق زخرف الأرض وزينتها بما نراه من كثير من مدن الأرض من وسائل الزينة

والجمال والزخرفة في الأبنية والشوارع وبما تحققه الإضاءة الكهربائية، أما ظن أهل الأرض بأنهم قادرون عليها فقد تحقق ذلك بما تنقله وسائل الإعلام المختلفة من خيال علمي لمستقبل الأرض حتى وصل الأمر بأحدهم أن يستنتج بإمكانية إنتاج الإنسان في المعامل كما تنتج الحلوى، وجعل المناخ وإنزال الأمطار حسب الطلب وجعل القمر محطة للسفر الفضائي إلى أعماق الكون وغير ذلك من الأوهام.

وقد نقلت كتب الحديث والتفسير علامات كثيرة جداً من علامات عصر الظهور وما يسبقه وعلامات آخر الزمان، منقولة عن الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، اخترنا منها بعض المفردات، ما نراه قد تحقق فعلاً أو مازلنا ننتظر تحققه لاحقاً.

أكل الربا واستحلال الكذب وبيع الدين بالدنيا وظهور الجور وشرب الخمور وعطلت الحدود، وصار الحفاة في العراق ملوكاً، وكان زعيم القوم أرذلهم، وعق الرجل أباه وجفا أمه، وعملت أصوات الفسقة في المساجد، والريح الحمراء، والخسف والمسخ دنا خراب العراق.

بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وظهور الدجال، ونزول يأجوج ومأجوج، وقتل غلام من آل محمد بين الركن والمقام، يتشبه الرجال بالنساء وتتشبه النساء بالرجال، وأكل ثمار الصيف في الشتاء، وأكل ثمار الشتاء في الصيف، ورؤية أهل الأرض لبعضهم البعض عبر ما بين المشرق والمغرب، وسماع الأصوات وكل قوم يسمعون الصوت بلغتهم، والميل مع الأهواء، وإمارة النساء، وقعود الصبيان على المنابر، يليهم أقوام إذا تكلموا قتلوهم وإن سكتوا استباحوهم ليستأثروا بفيئهم وليطؤن حرمتهم وليسفكن دماءهم وليملؤن قلوبهم رعباً، فلا تراهم إلا خائفين مرعوبين مرهوبين، فالويل لضعفاء أمتي منهم والويل لهم من الله، لا يرحمون صغيراً ولا يوقرون كبيراً ولا يتجاوزون عن مسيء، أخبارهم فناء، جثثهم جثث الأدميين وقلوبهم قلوب الشياطين، تتحلى ذكور أمتي بالذهب ويلبسون الحرير والديباج... الخ حتى تخور الأرض خورة فلا يظن كل قوم إلا أنها خارت في ناحيتهم.

ظهور الجور في البلاد وظهور الفسق والشر ظاهر ووجه القرآن على الأهواء وعطل الكتاب وأحكامه ومعيشة الرجل من بخس المكيال والميزان... الخ، وإن الناس في سخط الله عز وجل وإنما يمهلهم لأمر يراد بهم، فكن مترقباً واجتهد ليراك الله عز وجل في خلاف ما هم عليه.

من مميزات عصر الظهور: الحكم بالعدل وظهور كنوز الأرض وبركاتها وإعلاء الإسلام على كل الأديان وكثرة الأموال والخير، وأنه (عجل الله فرجه) يحثي المال حثاً ولا يعده عداً، ويبلغ حكمه شرق الأرض وغربها، تطوى له الأرض ولا يبقى خراب في الأرض إلا عمر ويصلي المسيح عليه السلام خلفه ويسهل له كل عسير ويذل له كل صعب ويقرب له كل بعيد ويفني به كل جبار عنيد ويهلك على يديه كل شيطان مريد، وأنه عليه السلام يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عز وجل وعلامة رضاه تعالى يلقي في قلبه الرحمة،

سرداب الغيبة في سامراء

الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة.

ترعى الشاة والذئب في مكان واحد، وتلعب الصبيان بالحيات والعقارب لا تضرهم شيء ويذهب الشر ويبقى الخير لا يحمل معه طعام ولا شراب أثناء سيره.

يسير بعد ظهوره إلى الكوفة فيدخلها فيقتل المنافقين ويرد كل حق إلى أهله، ولم يبق أهل دين حتى يظهروا الإسلام، ولم يبق مسجد على وجه الأرض له شرف إلا هدمه، ووسع الطريق الأعظم وكسر كل جناح خارج في الطريق، وأبطل الكنف والميازيب إلى الطرقات ولا يترك بدعة إلا أزالها، ولا سنة إلا أقامها.

ليس من شيء إلا وهو مطيع لهم (الإمام المنتظر (عجل الله فرجه) وأصحابه الـ(٣١٣) الذين هم أصحاب الألوية والحكام في الأرض)، حتى سباع الأرض والطير، تطلب رضاهم في كل شيء، يضع القائم (عجل الله فرجه) يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم، نكتفي بما ذكرناه وما التوفيق إلا من عند الله عليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل■

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.
(٢) سورة النمل، الآية: ٨٢.
(٣) سورة سبأ، الآية: ٥١-٥٣.
(٤) سورة البقرة: من الآية: ١٤٨.
(٥) سورة هود، من الآية: ٨.
(٦) سورة هود سبأ، الآية: ٥١ ومن الآية: ٥٢.
(٧) سورة النمل، الآية: ٨٣-٨٥.
(٨) سورة الكهف، من الآية: ٤٧.
(٩) سورة يونس، من الآية: ٢٤.

مرقد سعيد بن جُبير..

إشراقة خالدة في عالم الإباء

لقضاء الحي قصّة ترتبط مع شخصية بارزة أخذت صدىً واسعاً في أحاديث التاريخ وقصص النبلاء، شخصية قُدّر لها الخلود بمقدار الموقف الكبير الذي مثّلته على مسرح الرفض والإباء للظالمين، ليس كأي موقف يختفي مع تعاقب الزمان ويضمحل مع مرور الأيام، موقف ثمنه الدّم.. وأي ثمن أعظم من الدّم؟!.

سعيد بن جُبير الذي يفتخر بمرقده أهالي الحي، والذي يعتبرونه المؤسس الحقيقي لمدينتهم ورمزاً للنماء فيها.. فقد كانت الأرض مجدبة، والخيرات غائرة، ومذ حلّ سعيد هطل غيث البركة وأظهرت الأرض سنابل الحياة، فما قصة سعيد وقضاء الحي؟!.

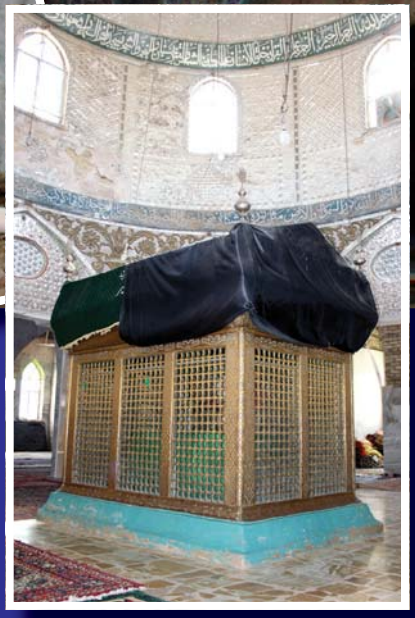

• استطلاع: حيدر الجد
• تصوير: ضرغام كمونة

تنابيه

عناوين الفكر لدى أصحاب المبادئ وإن اختلفت من ميدان لآخر، إلا أنها تبقى ذات ثوابت شاخصة للعيان، يمر عليها التاريخ فلا يغادرها حتى يسجل عندها علامات مضيئة تذكرها الناس جيلاً بعد جيل، وذلك بسبب مواقفها الصلبة اتجاه تحقيق الحق وتعرية الباطل من كل ما يتستر به تحت مسميات شتى.

وكما أسلفنا فإن ميادين الصراع مختلفة، فتارة تكون ساحات الحرب، بغض النظر عن معطياتها سواء أكانت معطيات ذات نصر مادي كما تحقق ذلك في معركة بدر الكبرى، حينما انتصر المسلمون الأوائل بقيادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على جموع قريش ومن سار في ركابها، أم معطيات ذات نصر معنوي مثلما تحقق للإمام الحسين عليه السلام في ملحمة كربلاء فبالرغم من استشهاده عليه السلام وحسم المعركة لصالح المعسكر المقابل إلا أن الخلود الذي حازه الإمام بنهضته قلب النتيجة لصالحه وما بقاء ذكر الحسين عليه السلام لهذا اليوم والى ما شاء الله إلا مصداق لذلك.

وتارة تكون الميادين مجالس الجبابرة والطواغيت، حين يكبلون أصحاب المبادئ بالقيود ويأتون بهم، فيدور الحوار بينهم، حوار غير متكافئ بين متسلط جائر متصدر المجلس، مهيأة له أسباب الراحة وبين داعية حق مؤمن بقضيته يرزح تحت وطأة السلاسل يرى الموت ظله الظليل.

وخير مثال على هذه الفئة الصالحة، الصلبة في إيمانها التابعي الجليل الشهيد (سعيد بن جُبير) الذي زرنا مرقده ووقفنا على آثاره فسجلنا استطلاعنا هذا اعتزازاً منا بموقفه الذي ينم عن إرادة قوية ونفس أبيه.

سعيد بن جُبير في دائرة الضوء

أبو عبد الله (وقيل أبو محمد) سعيد بن جُبير بن هشام، الأسدي بالولاء، مولى بني والبه بن الحارث[1] (بطن من بني أسد بن خزيمة) التي كانت تقطن الكوفة

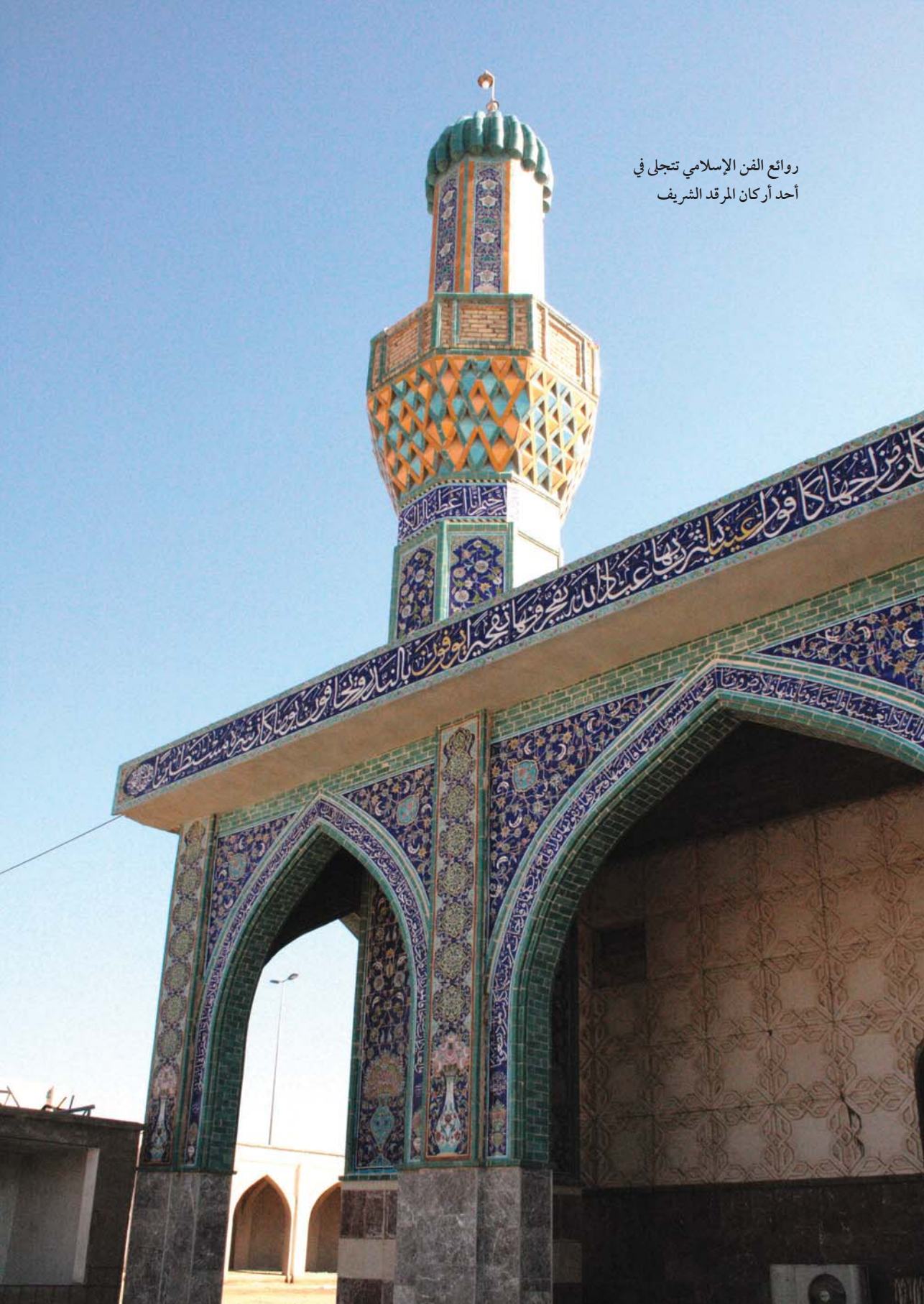

روائع الفن الإسلامي تتجلى في
أحد أركان المرقد الشريف

إضافة لذلك ((فوالبه) تسكن وادي الرمة بين جبلي ابان، وقد سكن قسم من القبيلة أذربيجان حيث وجد هناك موضع يسمى (والبه) وهو الذي لجأ إليه سعيد بعد قتل ثورة بن الأشعث)[٢] والظاهر أن بني والبه كانوا يعدون أخواله لانتماء أمه إليهم وقد عرف سعيد تارة بـ(ابن الحارثية)[٣] وأخرى (ابن أم الدهماء)[٤]، وهذا يدل على أن أم سعيد كانت امرأة معروفة كما سمي بـ(ابن أبي الجهم)، في حين يذكر ابن حبان (أن عكرمة مولى ابن عباس كان متزوجاً بأم سعيد بن جُبير)[٥].

عموماً يمكن القول بأن الكوفة كانت دار مولده ومربع نشأته، أما ولادته فيمكن تحديد تاريخها كما ذكر السيد حيدر وتوت بقوله: (بناءً على ما ذكره أكثر المؤرخين، من أن عمره حين استشهاده عام ٩٤هـ (على أشهر الأقوال) كان يناهز التاسعة والأربعين عاماً، أي أنه ولد أيام معاوية بن أبي سفيان الأموي)[٦].

وبناء على ما تقدم فإن عمر سعيد يوم الطف ستة عشر سنة، وهذا يعني أنه ساير أحداث واقعة كربلاء مع ما تمثله من خطوط خلفية للجيش الأموي الذي نزل كربلاء واتخذها ساحة حرب لقتال سيد شباب أهل الجنة. أما الأستاذ محمد سعيد الطريحي فيقول: (صار والياً على الكوفة في خلافة عثمان وعلى المدينة في عهد معاوية)[٧].

ولا ندري علام اعتمد الأستاذ الطريحي فيما ذكره وقد نصّت أغلب الكتب الرجالية على ولادته في فترة حكم معاوية.

على أننا لم نجد ما سجله سعيد عن ذكرياته خلال الفترة التي حدثت فيها واقعة كربلاء، سوى قوله: (ما مضت عليّ ليلتان منذ قتل الحسين عليه السلام إلا أقرأ فيهما القرآن، إلا مسافراً أو مريضاً)[٨] ونجده تارة أخرى يقول: (منذ قتل الحسين عليه السلام حتى اليوم أتلو في كل ليلة حزباً من القرآن)[٩] وهذان الحديثان يكشفان لنا عن شدة تعلق سعيد بالقرآن، حيث واظب على قراءته منذ ريعان شبابه.

أما أبوه وأخوته فلم نجد أي نصوص تشير لذكرهم هذا فيما إذا كان له أخوة أصلاً، في حين يذكر لنا التاريخ أن له ولدين هما عبد الملك بن سعيد وعبد الله بن سعيد، وعبد الله هذا ذكره ابن كثير[١٠] قائلاً له روايات كثيرة، فقد كان من أفضل أهل زمانه، وهناك من زعم أن له ولداً ثالثاً كان يكنى به اسمه محمد[١١] ومن الجدير ذكره أن الجد السادس للشيخ المفيد أعلى الله مقامه يقال له (سعيد بن جُبير) فهو محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن النعمان بن سعيد بن جُبير بن وهب بن هلال الحارثي، نسبة إلى الحرث بن كعب، من يعرب بن قحطان[١٢].

فيما ورد من الثناء على شخصيته

كان سعيد محط إعجاب وإكبار لدى العلماء وأصحاب التراجم والسير عند جميع المسلمين، فقد ذكر ابن شهراشوب سعيداً قائلاً: (أبو محمد سعيد بن جُبير مولى بني أسد، نزيل مكة، وكان يسمى جهبذ العلماء، ويقرأ القرآن في ركعتين، وقيل، ما على الأرض أحد

إلا وهو محتاج إلى علمه)[١٣].

وأما الإمام جعفر الصادق عليه السلام فيقيّم شخصية سعيد بقوله: (كان يأتم بعلي بن الحسين عليه السلام وكان علي عليه السلام يثني عليه وما كان سبب قتل الحجاج له إلا على هذا الأمر، وكان مستقيماً)[١٤].

في حين يثني عليه أبو نعيم قائلاً: (ومنهم الفقيه البكاء، والعالم الدعاء، السعيد الشهيد، السديد الحميد، أبو عبد سعيد بن جُبير)[١٥] إلى غير ذلك من جمل الإطراء والمدح التي وردت في سعيد ومن كلا الفريقين.

شيوخه وتلامذته

عدّ السيد حيدر وتوت الحسيني شيوخ سعيد فبلغوا اثني عشر، وكان عبد الله بن عباس (حبر الأمة) في طليعتهم، إضافة لأبي سعيد الخدري (سعد بن مالك)

محراب مصلّى الرجال

وغيره ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أما تلامذته الذين يروون عند فقد كانوا ثلاثة وستين، أمثال أبان بن تغلب وثابت بن دينار (أبي حمزة الثمالي) وحمران بن أعين والمنهال بن عمرو الأسدي[١٦]، وغيرهم.

فيمن كتب عن سعيد

هناك عدد من المؤلفات التي اختصت بدراسة سيرة سعيد بن جُبير وما يتعلق به ومن أهمها:

١- سعيد بن جُبير ومروياته في الأخبار والحديث والتفسير، تأليف السيد حيدر وتوت الحسيني.

٢- سعيد بن جُبير أو شهيد واسط، تأليف الخطيب السيد علي الهاشمي.

٣- سعيد بن جُبير، تأليف كمال السيد.

٤- سعيد بن جُبير شهيد الصدق والإيمان، تأليف سلام محمد علي البياتي.

٥- جهبذ العلماء، سعيد بن جُبير، تأليف ناظم الموسوي الصافي.

المدخل الرئيس لمرقد سعيد بن جبير
إلى اليمين: الحرم من أحد الأواوين المحيطة بالصحن، وفي النية إكساء أرضية الصحن ضمن مراحل إعمار المرقد

المدن التي نزلها سعيد

وبما أن سعيداً قد ولد في الكوفة، كما أسلفنا فقد أثرت في تكوين شخصية سعيد، حيث كانت حينها الجامعة العلمية الكبرى، يضج مسجدها برواد العلم والمتعلمين إضافة لذلك فقد كانت الكوفة مسرحاً لنشاط مجموعة من التيارات السياسية، خصوصاً في الفترة التي تزامنت مع مولد سعيد بن جُبير إذا ما جزمنا بأن ولادته كانت خلال العقد الرابع من القرن الهجري الأول، وقد ولد سعيد في الفترة التي تلت استشهاد الإمام علي عليه السلام، تلك الفترة التي استقطب الصراع فيها بين أهل العراق وأهل الشام والتي تميزت باندفاع أهل العراق نحو العلوم الدينية وما يتبعها من علوم لغوية، وتقوقع أهل الشام حول ملاذ الدنيا وخدمة سلطانها ومن يتفحص أقوال سعيد وهو يتحدث عن ذكرياته يجد أن لبيئة الكوفة أثراً كبيراً في تنشئته تلك النشأة الدينية)[١٧].

أما انتقاله إلى مكة المكرمة وصحبته لابن عباس رضي الله عنه فهناك احتمال

من احتماليين يمكن أن نتبناه يفسر اتصاله بابن عباس رضي الله عنه:

الاحتمال الأول: أن سعيداً هاجر إلى مكة وترك الكوفة وعندها جعل يختلف إلى مجلس ابن عباس الذي استأنس بسعيد كثيراً وخصه بعلوم لم يحظ شخص آخر بها ممن كان يطلب العلم من ابن عباس بها بمعنى اتخاذه مكة وطناً يسكنه فيتصل بابن عباس ويتزود بنمير علومه ومعارفه.

الاحتمال الثاني: اتصال سعيد بعبد الله بن عباس عن طريق سفره الدؤوب لمكة تارة للحج وأخرى للعمرة، فعن (هلال بن خباب، قال: خرجت مع سعيد بن جُبير في أيام مضين من رجب فأحرم من الكوفة بعمرة، ثم رجع من عمرته، ثم أحرم بالحج في النصف من ذي القعدة أو كان يخرج كل سنة مرتين مرة للحج، ومرة للعمرة)[١٨].

يحدثنا سعيد عن اتصاله الأول بـ(حبر الأمة) عبد الله بن عباس بقوله: (قال لي ابن عباس: ممن أنت؟ قلت: من بني أسد، قال: من عربهم أو من مواليهم؟، قلت: لا، بل من مواليهم، قال: فقل: أنا ممن أنعم الله عليه من بني أسد)[١٩].

لقد تعلق ابن عباس بتلميذه أيما تعلق حيث وجد فيه نبوغاً عالياً وقابلية على إدراك الحديث فاقت على قابليات نظرائه، ممن قدموا على ابن عباس يطلبون التزود من علمه ومعارفه التي أخذها عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وعند ابن عباس كان اللقاء الأول بين سعيد بن جُبير والحجاج بن يوسف حيث اجتمعا في مجلسه معاً لطلب العلم وعندما يسجل ابن جُبير هذا اللقاء يقول: (لقد رأيته يزاحمني عند ابن عباس)[٢٠]، إلا أن ابن عباس كان اهتمامه منصباً على سعيد لما رآه فيه من صفات تؤهله لذلك الاهتمام، ولم يعر للحجاج أي اهتمام وقد يكون هذا الأمر أول الحقد الذي امتلأ به قلب الحجاج، وقد أدى في آخر الأمر إلى تلك النهاية المأساوية التي لاقاها سعيد على يد الحجاج.

وبناء على صحة الاحتمال الأول فلم (يطل المقام بسعيد في مكة والحجاج يعدّ الأنفاس على أهل الحجاز، ففكر في العودة إلى مدينته ومسقط رأسه الكوفة، خاصة وقد بدأت حلقات الدراسة تملأ جنبات مسجد الكوفة، تعج زاخرة بالدارسين، وقد شعر بأن وجوده في الكوفة سيكون أفضل وأنفع من الناحية العلمية والسياسية)[٢١].

وبعد فشل ثورة ابن الأشعث التي اشترك فيها سعيد أخذ يتنقل في البلاد الإسلامية هارباً من ظلم الحجاج وتعسفه، فانتقل إلى أصبهان حيث يقول أبو نعيم: (دخل سعيد أصبهان وأقام بها مدة، ثم ارتحل منها إلى العراق وسكن قرية سنبلان)[٢٢].

وسنبلان ليست في العراق وإنما في أصبهان كما قال ذلك ياقوت في معجمه[٢٣]، ثم التحق بأذربيجان بعدما لاحظ أن الجواسيس والعيون الأموية ترصده ونزل حاضرتها (أردبيل)[٢٤]، التي سكنها لسنين طويلة ينتقل بين أمصارها مطمئناً إلى حماية أهل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الذي كان معه في الثورة، ولما طال مقام سعيد في تلك المدينة أخذ الحنين والشوق إلى مكة

يدب في عقله وروحه حتى قرر شد الرحال إليها بعد أن طفح به كيل الصبر، وبالفعل نزل سعيد مكة ولم يفارقها إلا مرغماً على أيدي جلاوزة بني أمية، منقولاً إلى الحجاج بن يوسف الذي سكن مدينة واسط وبذا تكون واسط نهاية المطاف في حياة سعيد بن جُبير رضوان الله عليه حيث استشهاده وقبره ومحل زواره ومريديه.

سعيد ومجريات الأحداث

شهدت مسيرة حياة سعيد بن جُبير التي امتدت قرابة الخمسين عاماً، تعاقباً لحكام بني أمية ابتداءً من حكم معاوية بن أبي سفيان، مروراً بيزيد ثم ولده معاوية ثم مروان ابن الحكم وبعده عبد الملك بن مروان ثم ولده الوليد بن عبد الملك الذي هلك في النصف من جمادي الآخرة سنة ٩٦هـ[٢٥]، أي بعد مقتل سعيد بسنة أو سنتين.

لقد عاصر سعيد الأحداث التي ألمت بالأمة الإسلامية حيث واقعة الطف وواقعة الحرة مروراً بوقائع الحجاج مع عبد الله بن الزبير وضرب الكعبة بالمنجنيق وكلها أثرّت في نفس سعيد أيما تأثير إلا أنه سايس السلطات الحاكمة تقية وحفاظاً على دينه وحياته.

لازال العمل جارياً في مصلى النساء

أما علاقة الحجاج بسعيد فقد ابتدأت كما ذكرنا منذ حضور كليهما عند حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه فسعيد هو الأعرف بوضع الحجاج الذي أصبح من عمال عبد الملك بن مروان بعدما كان خامل الذكر فاتخذ من الدهاء والظلم والتعسف وبغض آل علي عليهم السلام طريقاً لكسب رضا بني مروان وبالفعل فقد نال ما أراده إذ عينه عبد الملك والياً على مكة والمدينة بعد أن سحق حركة عبد الله بن الزبير في مكة ثم رأى عبد الملك في الحجاج مثلما رأى يزيد بابن زياد فولاه العراق بمصريه، البصرة والكوفة كي تستقيم له الأمور.

ولعل الحوار الأخير الذي دار بين سعيد بن جُبير والحجاج بن يوسف قبيل مقتل سعيد سيوفر لنا الكثير من الكلام ويسهل علينا محاولة فهم ما حدث مع سعيد، يقول ابن أعثم[٢٦]: (فدخل سعيد بن جُبير على الحجاج، فلما نظر إليه قال: لا مرحباً بك يا رأس النفاق.

قال سعيد: المنافق من كان من شيعة المنافقين.

قال الحجاج: صدقت يا شقي.

قال سعيد: بل أنا سعيد بن جُبير...

قال الحجاج: يا عدو نفسه ألم أقدم العراق وأنت بها فقربت منزلك، ورفعت مرتبتك؟ ثم بلغني عنك علم وفقه فزدتك في عطائك، وفي خبر (أما قدمت الكوفة وليس يؤم بها إلا عربي فجعلتك إماماً، فقال: بلى، قال: أما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا لا يصلح للقضاء إلا عربي) فاستقضيت أبا بردة ابن أبي موسى الأشعري وأمرته أن لا يقطع أمراً دونك.

قال: بلى.

قال: أما جعلتك من سماري وكلهم رؤوس العرب.

قال: بلى.

قال: أما أعطيتك مائة ألف درهم تفرقها على أهل الحاجة في أول ما رأيتك ثم لم أسألك عن شيء منها)[٢٧].

قال ابن أعثم: (قال سعيد: قد كان ذلك يا حجاج، قال

صورة قديمة للمرقد تبين التصدع في القبة والأضرار في هيكله

الحجاج: فما أخرجك عليّ؟

قال سعيد: بيعة كانت في عنقي لابن الأشعث فلم أر نقضها.

فغضب الحجاج ثم قال: يا عدو نفسه، فبيعة أمير المؤمنين كانت أحرى أن تفي بها من بيعة ابن الأشعث حائك كندة والله لأذيقنك حياض الموت ولأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى).

والنص أعلاه يكشف عدة أمور منها:

١ـ قول سعيد: المنافق كان من شيعة المنافقين، يدلل على وضوح الرؤية عند سعيد فلم يكن منافقاً يظهر عكس ما يبطن بل ما كان في سريرته يكن في علانيته.

٢ـ قول الحجاج (ألم أقدم العراق وأنت بها، فقربت منزلك ورفعت مرتبتك) يدل على أن سعيداً كان في الكوفة عندما ولي الحجاج أمرها، ولم يقرب سعيداً إلا لما كان من معرفته التامة بحال سعيد من ورع وزهد وتقوى، إضافة لكونه (أي سعيد) ممدوحاً عند المسلمين ولا ينسى الحجاج مواقف ابن عباس الإيجابية من سعيد وتقريبه إياه، بل وتفضيله على غيره ممن كانوا يحضرون مجلسه.

٣ـ أما بيعة سعيد لابن الأشعث، فقد تمت بمعية عدد من القراء وليس بمفرده حيث استخدم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث (من العائلة سيئة الصيت) المكر والدهاء لاجتذاب القراء حتى يعطي مشروعية لحركته ودفعاً معنوياً لأصحابه، أما القراء ومن جملتهم سعيد فلا أدري هل انطوت عليهم حيلة ابن الأشعث أم أنهم أرادوا فعلاً التخلص من ظلم الحجاج وتعسفه فالتحقوا مع ابن الأشعث، متخذين من سياسة (عدو عدوي صديقي) منهجاً لهم؟!

عموماً أرى في نظري القاصر أسباب عدة اجتمعت ومكنت الحجاج من قتل سعيد وهي:

١ـ إثبات سعيد لأبوة النبي ﷺ الصلبية للحسن والحسين عليهما السلام أمام الحجاج بالأدلة القرآنية مستدلاً بأبوة إبراهيم لعيسى عن طريق مريم.

٢ـ التحاقه بثورة ابن الأشعث وخلعه بيعة عبد الملك، في حين يرى السيد محسن الأمين العاملي رحمه الله في النص المتقدم أن سعيداً لم يعتذر بقوله (بيعة لابن الأشعث كانت في عنقي) ويعتبره عذراً فاسداً حيث يقول (كيف يعتذر سعيد بهذا العذر الفاسد ولا يعتذر بمثل ما اعتذر به الشعبي في قوله (كانت فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أشقياء)، ثم يضيف الأمين: (ولكن الصواب أن قتله كان لولائه أهل البيت عليهم السلام والعفو عن الشعبي كان لولائه بني أمية وإعراضه عن أهل البيت عليهم السلام)[٢٨].

بعد أن ضاق الحجاج ذرعاً بسعيد من خلال أجوبته المفحمة كان شأنه شأن الطواغيت عندما يقفون أمام أندادهم وهم ضعفاء يغلبهم منطق الحق فيسارعون إلى منطق الجلاد والسيف؛ وهذا ما ذهب إليه الحجاج إذ صاح اذهبوا به فاقتلوه فقال سعيد: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، استحفظها يا حجاج حتى ألقاك يوم القيامة، ثم قال: اللهم لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدي، فضربت عنقه، فبدر رأسه وعليه كمة بيضاء لاطئة، فلما سقط رأسه هلل ثلاثاً أفصح بمرة ولم يفصح مرتين[٢٩].

أصبح سعيد معروفاً بلقب جديد هو

(مستجاب الدعوة) حيث لم يمهل الله الحجاج إلا خمسة عشر ليلة فقد دب المرض في جسده والتبس عقله وجعل ينادي (ما لي ولسعيد) حتى هلك وفي هلاكه عبرة للظالمين.

زيارتنا لمرقد سعيد بن جُبير

الطريق غير آمن!

لا، بل الطريق آمن!

أي الطرق نسلك؟

طريق النجف ـ الديوانية ـ عفك ـ الفجر ـ الحي.

طريق النجف ـ الديوانية ـ الشوملي ـ النعمانية ـ الكوت ـ الحي.

خياران لا ثالث لهما، ويجب تحديد واحد منهما.

الخيار الأول كان الأرجح فانطلقنا بعد التوكل على الله صبيحة يوم الثلاثاء الثاني من شهر صفر.

يبعد قضاء الحي عن النجف الأشرف حوالي (٢١٥كم) حسب الطريق الأول.. أخذت السيارة تجد بنا في السير حثيثاً حتى وصلنا إلى قضاء الحي ومن الشارع العام انعطفنا نحو طريق فرعي غير معبد، الذي يعتبر المنفذ الوحيد الموصل إلى مرقد سعيد بن جُبير رضي الله عنه ويبلغ طول هذا الطريق حوالي كيلومتر.

واسط والحي

سميت واسط واسطاً، لتوسطها بين الكوفة والبصرة والأهواز، فهي على خمسين فرسخاً من كل واحدة منها، كانت احدى مدن العراق الكبرى الثلاث قبل بناء بغداد، فقد شرع الحجاج في بنائها سنة (٨٤هـ) وفرغ منها سنة (٨٦هـ) وقد كان قبلها أثر لمدينة تدعى (واسط القصب)[٣٠].

وواسط طرفان، الطرف الشرقي يقال (واسط)، والغربي يقال له: (كسكر)، وقد عرف من محلات واسط محلة الأنباريين وفيها جامع البلد ومحلة الزيدية وهي مسكن العلويين وشيعتهم وفيها الحقول والبساتين، ومحلة الرازي وهي المحلة السفلى بواسط والمحلة الشرقية لوقوعها شرقي واسط ومحلة (الحزاميين) أيضا شرقي واسط[٣١]، (أما (برجونية) فتقع شرقي واسط قبالتها، وهي قرية نزهة ذات أشجار ونخل كثير ثم يضيف ياقوت في معجمه قوله: (وبها قبر يزعمون أنه قبر سعيد بن جُبير...)[٣٢].

واليوم أصبحت برجونية جزء من قضاء الحي، تعرف باسم منطقة سعيد أما بلدة (الحي) فقد أخذت التسمية من نهر الحي و(الحي) محلة القوم وربعهم، والظاهر أن اسمها كان حي واسط ثم ذهب اسم واسط فبقي اسم الحي وقد عرف النهر بعد ذلك باسم (الغراف)[٣٣]، فعليه نشأت ويسمى صدره اليوم بـ(الأعمى) لأن الجري تحول عنه وصار يجري بين يدي مدينة الحي، حيث يقول على الشرقي: (انتقل أهل واسط إلى الحي فمدينة الحي هي واسط اليوم، ... ثم يذكر جملة من الأنهار الصغيرة المتشعبة من نهر دجلة ومنها ما كان يقيم العشارون عليه لاستلام الأعشار من السفن المنحدرة والمصعدة، وكان هناك حي يسمى حي العشارين، فارتأى بعض الباحثين أن بقيته اليوم هي مدينة الحي، وإني أعتقد أن هذه المدينة بقية للمدينة الفارسية التي كانت على فرع لدجلة يسمى (زندرود)

صورة للضريح المطهر
وتبدو التصدعات في المرايا المزخرفة في الأعلى نتيجة الرطوبة

وترجمة هذه التسمية (النهر الحي) وهو اسم المدينة الفارسية التي كانت عليه فالحي مأخوذ من مادة الحياة وليس هو بمعنى مجموعة منازل وهذا يجتمع مع قول القائلين إن اسم النهر الحي لا نهر الغراف[٣٤].

أما أهل قضاء الحي فيرون أن تسمية الحي أطلقت على المنطقة بعد مقتل سعيد بن جُبير ودفنه فيها، حيث كان الأرض مجدبة، غير مأهولة بالسكان، فلما دفن سعيد هناك ظهرت البركة حيث وفرة الخيرات الزراعية الأمر الذي جعل الناس تستوطن المنطقة المحيطة بالقبر فسميت بالحي وكأنما أحييت الأرض بعد أن كانت ميتة ببركات مرقد سعيد بن جُبير.

أما مدينة الحي القائمة اليوم فتبعد عن مدينة الكوت (٥٠كم) وقد تأسست عام ١٨٠٠م من قبل أحد شيوخ عليخان الذي قدم إلى هذه المنطقة من الفرات الأوسط، وقد امتاز أهل الحي بالكرم حتى قيل فيهم: (وأهل الحي أحياء). كما اتصفوا أيضاً بالروح الثورية، ففي عام ١٩٥٦م ثارت مدينة الحي متضامنة مع الشعب المصري ضد العدوان الثلاثي، وأعدم اثنان من أبنائها الأبطال هما (علي الشيخ حمود، وعطا مهدي الدباس).

أما في سنة ١٩٩٠م فقد كانت مدينة الحي من أوائل المدن التي اندلعت فيها الانتفاضة الشعبانية فقدمت العديد من الشهداء.

مرقد سعيد بن جُبير

يذكر الأستاذ علي الشرقي في بحثه الموسوم بـ(واسط) قوله: (واليوم يوجد مشهد لسعيد بن جُبير وهو رواق عليه قبة)[٣٥]، أما ابن خلكان (المتوفى سنة ٦٨١هـ) فيقول: (فضرب عنقه (أي سعيد) وذلك في شعبان سنة ٩٥هـ وقيل ٩٤هـ، بواسط ودفن في ظاهرها وقبره يزار بها)[٣٦] في حين يقول ابن العماد الحنبلي[٣٧] (المتوفى سنة ١٠٨٩هـ): (وقبره بواسط يتبرك به).

أما الشيخ محمد حرز الدين فيقول: أشرفت قبة مرقده القديمة على الانهدام لمرور سنين عليها، وكان يرجع تاريخ بنائها العتيق إلى القرن الحادي عشر الهجري لوجود الشاهد على ذلك وهي الصخرة التي على قبره وكان مكتوباً عليها ما نصه (جدده كنعان آغا في صفر الخير من القرن الحادي عشر الهجري) ثم يضيف الشيخ حرز الدين: وقد أشاد مرقده اليوم جماعة من المحسنين من أهل مدينة الحي... فقد تم بناؤه أي المرقد بأضخم بناء وأحدثه كما يشاهد وحوله صحن كبير له أربعة أبواب وقد تم بناؤه سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م باهتمام العلامة الشيخ عبد الأمير آل قسام النجفي[٣٨].

في حين يذكر السيد علي الخطيب الهاشمي ما نصه: (وفي مرقده توجد صخرة رقم عليها اسم المجدد لبنائه السابق، وهو كنعان آغا سنة ١٠٥٣هـ في صفر الخير، وكما أنه عند الهدم وجدت بعض من قطع الأحجار، وقد كتب عليها بالخط المسماري، ويظهر أن هذه الأحجار نقلت من الآثار القديمة وجعلت في أسس المرقد عند تجديده، ومن الآثار القديمة البئر المدرجة التي يظهر عليها القدم، وكانت الأعاصير التي تحمل الرمال قد ردمتها، وأخيراً عثر عليها وكشف عنها،

مقام الخضر عليه السلام ويقع على مقربة من مرقد سعيد بن جبير

وتستعمل اليوم)[٣٩].

المرقد اليوم

ومرقد سعيد اليوم هو عبارة عن صحن واسع تبلغ مساحته عشرة آلاف وثمانمائة متر مربع وهذه المساحة تتوسط قطعة أرض واسعة تبلغ (٢٤دونم)، وقد سجلت في دائرة الأوقاف إنها تابعة لمرقد سعيد بن جُبير إلا أننا لاحظنا بعض التجاوزات حيث زرع البعض أجزاء من تلك الأرض واتخذها مسكناً له، لاحظنا أيضاً وجود مقبرة تحد الجهة الجنوبية من المرقد وقد أعدت لدفن الأطفال ذوي الحاجة، كما أثار انتباهنا وجود حجرة صغيرة على جانب الطريق المؤدي إلى مرقد سعيد رضي الله عنه، كتب عليها مقام الخضر عليه السلام.

تحيط به الأواوين المستمرة من جهاته الأربعة وتكتظ هذه الأواوين بالزائرين خصوصاً أيام الجمع والأعياد وفي يوم استشهاده حيث ذكر لنا أحد الأخوة القائمين على خدمة المرقد أن يوم ٢٥ ذي الحجة هو يوم استشهاد سعيد بن جُبير.

يمكن الدخول للصحن من خلال أربع منافذ تتوزع على الجهات الأربع حيث تتوسط الباب تلك الجهات وتمتد على جانبيها أواوين بواقع عشرة أواوين على جانب يبلغ عرض الإيوان أربعة أمتار تقريباً، ولازالت حركة الأعمار قائمة على قدم وساق في ترميم وتأهيل الصحن والحرم معاً. ولازالت سقوف الأواوين المبنية بالشيلمان (العقادة) مغطاة بطبقة اسمنتية تنتظر الطلاء بالصبغ أو البورك.

تستقر المجموعة الصحية في الزاوية الجنوبية الغربية وفي الواقع فإن هذه المجموعة تحتاج إلى تغيير كامل لأنها لا تفي بمتطلبات الصحة العامة، أما الواجهة الخارجية للصحن والتي تطل على الشارع وبعض البيوت المتناثرة هنا وهناك،

فالعمل في تغليفها مستمر حيث ستغلف بأرقى أنواع المرمر ومن الجدير ذكره فإن نية تطوير المرقد كانت شرارتها الأولى قد انطلقت عام ١٩٦١م، وكان راعي الفكرة ومنميها المرحوم الشيخ عبد الأمير القسام، إلا أن النظام البائد كان يعيق أي محاولة لتجديد وتعمير المرقد شأنه شأن المزارات الأخرى في العراق التي عانت الإهمال المتعمد وكانت أي بادرة يقوم بها المؤمنون ممن أنعم الله عليهم لتعمير مرقد أو مزار تجابه بالرفض وربما يعرض المؤمن نفسه إلى أخطار جمة منها رصد تحركاته من قبل رجال السلطة وتكرار الإلحاح والمساءلة معه إضافة لابتزازه المادي المتكرر.

في عام (١٩٩٦م) وأثناء أيام عبد الأضحى حيث كان الزائرون يفدون على المرقد وعلى حين غرة سقطت جزء من مقدمة السقف المطل على الطارمة الأمامية للمرقد، وحينها قدم وفد من أهالي الحي إلى مكتب سماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم (مد ظله)، وقد عرض الوفد على السيد تفاصيل الحادثة وحاجة المرقد الفعلية إلى إعادة التأهيل والترميم والأعمار، فأشار سماحة السيد إلى الحاج ميثم مذبوب بأن يتكلف الموضوع برمته.

يتحدث لنا الحاج مثيم عن ذلك التكليف بقوله: (وبناء على ما أمر به سماحة السيد الحكيم فقد ذهبت إلى مرقد سعيد بن جُبير وتباحثت الأمر مع من يهمه الأمر خصوصاً سماحة الشيخ حسين القسام الذي لم يبخل بجهد معنوي كان أو مادي في سبيل تطوير المرقد والرقي به إلى ما تصبو إليه نفوس الخيرين من

أبنـاء مدينة الحـي والزائرين وصار الأمر أن نذهـب إلى ملاحظية أوقاف واسـط، فذهبنا وقدمنـا طلب ترميم ما تصدع من جراء حادثة يوم عيـد الأضحى، ثم أحيل الطلـب إلى مديريـة الأوقـاف العامة في بغداد، التي بدورها أحالت الموضوع إلى دائرة الشـؤون الهندسية، انتدبت الدائرة المهنـدس لؤي كمـال الـذي اصطحبته إلى المرقد المبارك بمعية الأسـتاذ ناصر شعبان والأخ محمد جواد عطية جبّوري.

أجـرى المهنـدس الكشـف وتبيـن أن المرقـد بحاجـة ماسـة إلـى الأعمار وبعد مرور شـهرين صدرت إجازة البناء التي بموجبها تم التحرك بالمباشـرة في هـدم وإزالة الأجـزاء المتضـررة والآيلة للسـقوط ورفع الأنقاض، وكان الدور الأساسـي فـي هـذا العمـل لأهـل الحي أنفسـهم فقد قدموا ما استطاعوا تقديمه وفقهـم اللّه، والحق يقال أن الحاج حميد غافل هيأ للعمل (سـيارة قلاب مع شفل) لمـدة عـام كامل دون مقابـل تبرعاً منه للمرقـد (كما تبرع بـ(٢٢ طن حديد) في شـدة الأزمة)، كذلك لا أنسى دور الأخ جاسـم البديري، البنـاء الذي عمل مجاناً تبرعاً منـه وفقه اللّه الذي بنـا المئذنتين والقبة.

امتـدت فكـرة الترميـم البسـيطة لتشـمل المرقد المبارك برمته، وكانت رغبة أهالي مدينة الحي شديدة في التغيير الشـامل لمعالـم المرقد، وكنـت حينها بحمد اللّه ممن وفق بالمسـاهمة الكبرى فـي المرحلـة الأولـى من الأعمـار، وقد هيـأت للعمـل كافة مواد البناء فاسـتمر العمـل على وتيرة منتظمـة، يحقق إنجازاً تلـو إنجاز، أراد أبناء الحـي إضافة مأذنة للمرقد إذ كانت القبة وحدها تعلو المزار وبالفعل فقد تم إنجاز مئذنتين على جانبي المرقـد المكـرم، ثـم ألحقنـا الباحات الأربع المحيطة بداخل الحرم إليه، بعدها توجهنـا للصحـن فأزلنـاه إزالـة كاملـة ثـم بدأنا بتوسـعته، ولا أبالـغ إذا قلت أن حجم الطين المسـتخدم في دفن الصحن بلغ مقدار ما تحمله أربعمائة سـيارة حمل (لوري) ولا أنسى دور المهندس الواسطي (أبـو رند) الـذي تابع مسـار العمل مجاناً وكان محيطاً بمجريات الإنجاز والإنشاء ومفاصلها.

ومما لاشـك فيه فقد كانـت معاناتنا جـراء الحصـار الاقتصـادي لا توصـف حيث بلغ سـعر طن حديد التسليح مليون ومائتي ألف دينار، إضافة للمواد الأخرى المتعذرة الحصول عليها.. والحمد للّه فقد تمثلـت نتيجة تلك الصعوبـات اليوم بهذا المرقد الشاخص بحلته الجديدة الزاهية.

والـكلام بعد للحاج ميثـم: (في النية أيضاً تطبيق الصحن بالكاشي أو المرمر تبعـاً لما سـيرتئيه المهندسـين وأصحاب الخبـرة، بسـبب طول فصـل الصيف في المنطقـة والتطرف الملحوظ في درجات الحارة خصوصاً في شهري تموز وآب).

أما بالنسبة للأروقة والضريح الداخل فتبلغ المسـاحة الإجمالية لهما تقريباً ألف ومائـة متر مربع، وأنـت تدخل من الباب الرئيسـية، التي يوجد مثلها ثلاث أبواب على الجهات الأخرى تقرأ شـعراً للسـيد محمد علي النجار:

هذا سعـيد بن جبير الذي
لم يرتض الحكم لباغ لئيم
جاهد في اللّه ولـــم ينثن
حتى أتـى اللّه بقلب سليم

شـاد بنو الحي لــه مرقداً
ينير للناس الطريق القويم
قد نطق الحي بتـــأريخه:
(دام لأهل الحي أجر عظيم)
١٣٨٤

تحيط بالضريح الداخلي أروقة جديدة غلفت جدرانهـا بالمرمر، حيث يقع على يميـن الداخـل بهو كبير يتصل بمسـجد مخصـص للرجـال، ولازالـت أعمـال السـقوف الثانويـة قائمـة حيـث نلاحظ عشـرات القطـع الجبسـية المزخرفـة مركونـة فـي إحـدى الزوايـا، يتصـدر المسجد محراب من المرمر، أما اللمسات الفنية فتبـدو واضحة للعيان في دقة إنجاز أقواس الأروقة، أما مسجد النساء فالعمل لازال جاريـاً فـي حـدل الأرضيـات، من المدخل الرئيسي ننفذ مباشرة إلى الحرم الداخلـي حيـث يتصدر مدخـل مقوس، تحتل جانبيه زيارة سـعيد بن جُبير، كما يمكن الدخول للحرم الداخلي عن طريق ثلاثـة مداخل أخرى مـن الجهات الثلاث الأخرى.

يتوسـط الصندوق (الضريح الطاهر) الحـرم الداخلـي والصندوق لا يتناسـب أبـداً مع كبر القبة التي تعلوه وقد أخبرنا سـماحة الشيخ حسين القسـام أن في نية اسـتبدال الصندوق بآخر يليق بشـخصية صاحب المرقـد فالصندوق اليـوم عبارة عـن مشـبك حديـدي بأبعـاد (٥ ،٢م×٢م) وبداخلـه صنـدوق خشـبي مغطى بشـال أخضر كتب عليه اسـم سعيد بن جُبير، تعلوه قطعة قماش خضراء ولا توجد ثرية واحدة داخل المرقد، أما القبة فقد سرت الرطوبة إليها مما أدى إلى سـقوط بعض القطـع الزجاجية (المرايـا) التي تزخرف القبة مـن الداخل، أما مـن الخارج فالقبة بحالة جيـدة جداً حيث تم تغليفها بعد قلع الكاشـي الكربلائي المتصدع والقديم الذي كان يغلفها.

يبلـغ قطـر القبـة حوالـي (٩م)، أمـا ارتفاعهـا فيبلغ (١٨م)، تحيـط بالقبة من الداخـل ثمان فتحـات موزعة بالتسـاوي على محيطها وقد خطت على طوقين فيها بعـض الآيـات القرآنية (بعض من سـورة

الرحمـن، وآيـة: رجـال لا تلهيهـم...) أما المنارتان فيبلغ ارتفاعهما (٢١م) تقريباً.

تعاقب على خدمة المرقد مجموعة من المؤمنين من آل سـيد شـبيب وبني عقبة وآل بدر (من عشـائر المياح) التي تتواجد بكثرة في قضاء الحي.

أمـا سـادن المرقد اليوم فهو الشـيخ حميـد لازم العقابي الذي أوضح لنا بعض

المشـاكل بقوله: (ولم نتلـق أي دعم من الدولـة، وإن تطويـر الخدمـات في هذا المـكان سـوف يسـهم في خدمـة قطاع السياحة الدينية والتاريخية، وإن سوء حالة التيـار الكهربائـي يتطلب وجـود مولدة كهربائيـة، وإن التكييف ضروري لهذا المكان الذي يؤمه الناس في المناسبات الدينية).

وهكـذا شـأن أصحـاب المواقـف خلـود ما بعده خلود لأنهـم تركوا الدنيا بزخارفها والتحقوا بالآخرة حيث رضوان الله وجناته ■

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٧١/٢.
(٢) البياتـي، سـعيد بـن جُبيـر، شـهيد الصـدق والإيمان، ص٣.
(٣) ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ٧٧/٣.
(٤) ابن سعد، الطبقات، ٢٥٧/٦.
(٥) مشاهير علماء الأمصار، ص٨٢.
(٦) سعيد بن جُبير ومروياته في الأخبار والحديث والتفسير، ص٤.
(٧) ابن سعد، الطبقات، ٢٥٩/٦.
(٨) المصدر السابق.
(٩) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٢٧٥/٤.
(١٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٠٦/٩.
(١١) ابن حبان، طبقات المحدثين باصبهان، ٣١٥/١.
(١٢) نصار، جهود الشـيخ المفيد الفقهية ومصادر استنباطه، ص٢٩.
(١٣) التستري، قاموس الرجال، ٨٦/٥.
(١٤) مناقب آل أبي طالب، ١٧٦/٤.
(١٥) حلية الأولياء، ٢٧٢/٤.
(١٦) وتوت، سعيد بن جُبير ومروياته.
(١٧) البياتـي، سـعيد بـن جُبيـر شـهيد الصـدق والإيمان، ص٢٥.
(١٨) أبو نعيم، حلية الأولياء، ص٢٧٥.
(١٩) ابن سعد، الطبقات، ٢٥٦/٦.
(٢٠) البياتـي، سـعيد بـن جُبيـر شـهيد الصـدق والإيمان، ص٢٩.
(٢١) المصدر السابق، ص٣١.
(٢٢) تاريخ اصبهان، ٣٨١/١.
(٢٣) ٢٩٦/٣.
(٢٤) البياتـي، سـعيد بـن جُبيـر شـهيد الصـدق والإيمان، ص٣٤.
(٢٥) الحائري، شجرة طوبى، ص٩٨.
(٢٦) الفتوح، ١٦١/٧.
(٢٧) ابـن العمـاد الحنبلـي، شـذرات الذهـب، ١٠٩/١.
(٢٨) أعيان الشيعة، ٢٠٢/١١.
(٢٩) تاريخ الطبري، ٣٩١/٧.
(٣٠) ياقوت، معجم البلدان، ٤٠٠/٥.
(٣١) الأمين، دائرة المعارف الإسـلامية الشيعية، ٢٦٣/٢٣.
(٣٢) ياقوت، معجم البلدان، ٤٤٥/٥.
(٣٣) كي لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص١٥.
(٣٤) الأمين، دائرة المعارف الإسـلامية الشيعية، ٢٦٤/٢٣.
(٣٥) المصدر السابق.
(٣٦) وفيات الأعيان، ٣٧٣/٢.
(٣٧) شذرات الذهب، ١١٠/١.
(٣٨) مراقد المعارف، ٣٥٢/١.
(٣٩) الهاشمي، سـعيد بن جُبير أو شهيد واسط، ص٩١.

الأثر النبوي.. في كلام الإمام علي(٤)

م. م. عباس علي الفحام •
خبير لغوي/ رئاسة جامعة الكوفة

تمهيد

كان لشخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وآله أعظم الأثر وأبينه في تكوين نشأة الإمام علي عليه السلام وثقافته.

وقد بدأت هذه العلاقة الحميمة منذ ولادة الإمام عليه السلام(١) فقد أقام النبي صلى الله عليه وآله بعد ولادة الإمام علي عليه السلام في دار عمه أبي طالب ثلاث سنين قبيل زواجه من خديجة بنت خويلد، كان فيها الإمام عليه السلام شغله الشاغل(٢)، حتى إذا انتقل الرسول صلى الله عليه وآله إلى داره الجديدة كان يرى أنه (لابد له أن يصطفي علياً ويضمه إليه ليستفرغ الوسع في تهذيبه وتثقيفه)(٤).

وما أن أصاب قريشاً الجدب والقحط حتى انطلق النبي صلى الله عليه وآله مع عمه العباس إلى أبي طالب للتخفيف عن كاهله فكان (مما أنعم الله على علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام)(٥) بعد أن أخذ العباس جعفراً(٦).

وقد كان للرسول صلى الله عليه وآله شأن في هذا الانتقاء، إذ توسم في علي عليه السلام على صغره ملامح الذين تسمهم العبقرية المبكرة بميسمها، ومن هنا استخلصه الرسول صلى الله عليه وآله لنفسه ورباه في حجره لأنه صلى الله عليه وآله أدرك أن (هذا الطفل مبكر النماء سابق لأنداده في الفهم والقدرة)(٧).

وقد صور الإمام عليه السلام نفسه علاقته بابن عمه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بقوله:

(وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وأنا ولد، يضمني إلى صدره ويكنفني إلى فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في

قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره.

ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي وأشم ريح النبوة)[٧].

وفي هذه الخطبة تصور دقيق لدورين خطيرين من أدوار حياته عليه السلام، وهذان الدوران في حياة كل امرئ يكون فيهما عقله وقلبه كالأرض الخالية ما ألقي فيها ينبت.

ونكشف من قول الإمام: (كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه) شدة ملازمته ومخالطته الرسول، فهو لم يفارقه مذ فتح عينيه على نور الرسالة ـ زهاء ثلاثين عاماً ـ حتى وفاته، حتى لقد كانت وفاة الرسول صلى الله عليه وآله على صدره كما يقول:

(ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإن رأسه لعلى صدري ولقد سالت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي، ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة أعواني)[٨].

وبهذا كله لا نستكثر على الإمام عليه السلام قوله: (والله ما أسمعكم الرسول شيئاً إلا وهاأنذا مسمعكموه)[٩].

وقوله عليه السلام: (وليس كل أصحاب رسول الله من كان يسأله ويستفهمه حتى أن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي والطارئ فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألت عنه وحفظته)[١٠].

لهذا كان من الطبيعي أن نجد صدى بلاغة الرسول صلى الله عليه وآله وفصاحته بينة في أدب وخطب الإمام علي عليه السلام، فقد كانت كل تلك الفصاحة العذبة واللغة النقية الخالصة التي وهبها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله يعيها علي بن أبي طالب عليه السلام بإذن واعية وقلب ذاكر وعقل حافظ.

لقد أتقن الإمام علي عليه السلام الأسلوب البياني الجديد للرسول صلى الله عليه وآله وأجاد طريقة صياغة العبارات من اقتضاب وتجوز

واشتقاق مرتجلاً أوضاعاً تركيبية تطابق إلى حد بعيد ما عرف به النبي ﷺ من أسلوب وصياغة، وقد سجل الجاحظ[11] عبارات للرسول الكريم ﷺ لم تسمع العرب بها من قبل كما يقول[12]، كقوله ﷺ: (مات حتف أنفه)، و(الآن حمي الوطيس)، و(يا خيل الله اركبي)، و(كل الصيد في جوف الفرا)، و(هدنة على دخن وجماعة على أقذاء)[13].

وهذا النفس النبوي نجده في كلام الإمام علي عليه السلام وحكمه، من مثل قوله عليه السلام: (ما عدا مما بدا)[14]، و(كلمة حق يراد بها باطل)[15]، و(المرء مخبوء تحت لسانه)[16]، و(استعصموا بالذمم في أوتادها)[17]، و(قد أضاء الصبح لذي عينين)[18]، و(إن للخصومة قحماً)[19]، وقوله عليه السلام: (أحمر البأس)[20]، و(حمس الوغى)[21]، و(حمي الضراب)[22]، وغيرها كثير مما يتعسر إحصاؤه.

بل لقد ذهب الإمام علي عليه السلام أبعد من ذلك، فهو لشدة ملازمته الرسول الكريم ﷺ وكثرة ما حفظ عنه من كلمات جامعة وأحاديث[23] كان ربما يعيدها بصياغته أو يوردها مطابقة لعبارة النبي الكريم ﷺ، وهكذا نجد الكثير من كلماته عليه السلام صدى لكلمات الرسول الكريم ﷺ، من ذلك قول الرسول ﷺ: (الآن حمي الوطيس)[24]، وقول الإمام علي عليه السلام: (أحمر البأس)، و(حمس الوغى)، و(حمي الضراب).

ومنه قول الرسول ﷺ: (لن يهلك امرؤ بعد مشورة)[25]، وقول الإمام علي عليه السلام: (من استبد برأيه هلك)[26]، وقوله: (هلك أمرؤ لم يعرف قدره)[27]، وقوله: (من شاور الرجال شاركها في عقولها)[28].

وقد استعار الإمام علي عليه السلام أسلوب النبي ﷺ وصياغته وبعض تركيب جمله، فعلى سبيل المثال يقول الرسول ﷺ: (رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم)[29]، وأخذ الإمام عليه السلام صيغة (رحم الله)، فقال عليه السلام: (رحم الله أمرء سمع حكماً فوعى)[30]، ومثل ذلك كثير.

وكذلك أخذ الإمام من الرسول ﷺ أسلوبه في الاستفتاح بـ(أما) أو (ألا) متلواً بالقسم ثم النفي والاستثناء أو التوكيد مثل قول الرسول ﷺ يصف الأنصار: (أما والله ما علمتكم إلا لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع)[31]، فاحتذى الإمام عليه السلام أسلوبه ﷺ.

ولا ريب في أن (للقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة)[32] دوراً كبيراً في ذلك، فقد كان الإمام علي عليه السلام يقول: (والله ما أسمعكم الرسول شيئاً إلا وها أنذا مسمعكموه)[33].

وكان الإمام عليه السلام لا يدع صغيرة أو كبيرة إلا ويستفهم الرسول ﷺ فيها، يقول الإمام علي عليه السلام: (وليس كل أصحاب رسول الله من كان يسأله ويستفهمه حتى إن كانوا ليحبون أن يجيء الإعرابي والطارئ فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألت عنه وحفظته)[34].

وكان حفظ الإمام عليه السلام لما يسمع (حفظ وعاية ورعاية)[35] كما يقول الإمام عليه السلام نفسه في صفة أهل البيت عليهم السلام.

ولهذا لم يأت تأثير الحديث النبوي في كلام الإمام علي عليه السلام من مجرد اقتفاء الأسلوب الشكلي الذي قد يشاركه فيه غيره كالاستفتاح بالحمد والاستفتاح بـ(ألا) وغيرها.

لقد بدا الأثر النبوي في تعبير الإمام من خلال الكيفية التي اتبعها الإمام في طريقة الاقتباس وقدرته على الإبانة والتوليد، إنه يضع نصب عينيه الأصل من الأثر النبوي

ثـم يعمل على توليد الفروع منه مشـتقاً منها صوراً جديدة مضيفاً إليها أو محوراً منها بما يناسب موقفه الذي يعيشه.

ويمكن دراسة رفد الأثر النبوي للإمام علي عليه السلام من خلال ما يأتي:

١ـ الاقتباس.

٢ـ التحوير.

٣ـ التوليد.

ونشرع في الحديث عنها وضرب الأمثلة:

١ـ الاقتباس:

والاقتبـاس من الأثـر النبوي على نوعين في كلام الإمام علي عليه السلام نوع منه يستشهد به الإمام معلناً عن نسبته إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وهـو كثيـر فـي خطـب الإمـام عليه السلام[٣٦] كقوله عليه السلام واعظاً:(انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظ الله واقبلوا نصيحة الله فإن الله قد أعـذر إليكم بالجلية وأخـذ عليكم الحجة وبيـن لكم محابـه من الأعمـال ومكارهه منها لتتبعوا هذه وتجتنبوا هذه فإن رسول الله صلـى الله عليه كان يقـول: إن الجنة حفت بالمـكاره وإن النار حفت بالشـهوات)[٣٧].

ولا ريـب فـي أن الاستشـهاد بالحديث النبوي مقروناً بذكر الرسـول الكريم صلى الله عليه وآله حجة على السامع تحمله على قبول ما يطرحه المتكلم والتفاعل معه، ولهذا فإن هذا النوع مـن الاقتباس يـرد غالباً فـي المواقف التي يتطلب فيها إظهـار الحجة والدليل، كقوله عليه السلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع وعما في أيدي الناس مـن اختلاف الخبر: (إن في أيـدي النـاس حقـاً وباطلاً وصدقـاً وكذباً وناسخاً ومنسـوخاً وعاماً وخاصاً ومحكماً ومتشـابهاً وحفظاً ووهمـاً، وقد كذب على رسـول الله صلى الله عليه وسـلم على عهده حتى قام خطيباً فقال: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[٣٨].

غيـر أن هـذا اللون من الاقتبـاس لم ير فيـه الطابع الفني للإمـام عليه السلام إلا من قدرته على اسـتدعاء الصـورة المناسـبة من الأثر النبـوي، فقـد حـرص فيه الإمـام عليه السلام على النقل الحرفي لصورة الحديث النبوي.

أمـا النوع الآخر مـن الاقتباس فهو الذي لم يصرح بنسـبته إلى الرسـول الكريم صلى الله عليه وآله على الرغم من تضمين نص الصورة نفسـها في الأثر النبوي.

وهنا تتضح الشـخصية الفنيـة المعهودة لأداء الإمـام عليه السلام فإحـكام العبـارة ومتانـة النسج تعسر من التمييز بين صور الإمام عليه السلام وصـور الحديـث النبوي، يقـول الإمام عليه السلام واعظـاً: (وإن الله سـبحانه لم يعظ بمثل هذا القـرآن فإنه حبـل الله المتين وسـببه المبين وفيه ربيع القلب وينابيع العلم)[٣٩].

فقـد أحـاط الإمـام عليه السلام اقتبـاس قـول الرسـول الكريـم صلى الله عليه وآله: (حبـل الله المتيـن) بصورتيـن مهـد فـي الأولى صـورة القرآن وهـو يعظ على لسـان الله تعالى وأردف في الثانية بعد الاقتباس بتكرار الصورة نفسها بصياغة أخرى، فقال عليه السلام: (سببه المبين) ثم أكمل بعد ذلك اقتباسـه مـن الأثر النبوي، وكل ذلـك مأخـوذ من قولـه صلى الله عليه وآله: (فإن هذا القـرآن حبـل الله المتيـن فيه إقامـة العدل وينابيع العلم وربيع القلوب)[٤٠].

فالنبي الكريم صلى الله عليه وآله (جعل القرآن للقلوب الواعيـة بمنزلـة الربيـع للإبـل الراعية لأن القلـوب تنتفع بتدبـر القـرآن وتأمله كما تنتفع الإبل بتحمض الربيع وتنقله فهذا غذاء للأرواح كما أن ذلك غذاء للأجسام)[٤١].

ولهـذا يبدو النسـج محكماً فـي عبارة الإمـام عليه السلام بحيـث لا يـكاد يتبين السـامع أن ثمة اقتباسـاً في النص فالصلـة قوية بين قوله عليه السلام في صدر كلامه (إن الله سـبحانه

لم يعظ بمثل هذا القرآن) وصورة الحديث النبوي (ربيع القلوب) فلا ينتفع بالوعظ إلا المتدبر المتأمل ذو القلب الواعي.

ويقول الإمام عليه السلام: (والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس ولكن كل غدرة فجرة وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة والله ما استغفل بالمكيدة ولا أستغمز بالشديدة)[٤٢].

وبيّن صورة الحديث النبوي (لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة)[٤٣] وبين ما قبلها من فقر الإمام عليه السلام وما بعدها صلة لا تغفل خاصة حين جاء بلفظة (غدرة) المشتق منه (غادر) الواردة في الأثر النبوي ثم مناسبة القسم الحاسم الذي سبقه صورة الغادر الموسوم يوم القيامة.

ومما يعزز تلك الصلة تكرار لفظة (كل) وملاءمتها للفظة (لكل) في الصورة المقتبسة من الحديث النبوي.

وفي مثال آخر يقول الإمام عليه السلام واعظاً: (ولا تحاسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب ولا تباغظوا فإنها الحالقة)[٤٤].

وهذه الصورة جاءت من خطبة يعظ فيها الناس فارتباطها بما قبلها وما بعدها يأتي من الجامع بينهما وهو الموعظة.

وبين أن صدر كلامه عليه السلام مقتبس من الحديث المشهور: (إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)[٤٥] كما أن عجزه مأخوذ من قوله صلى الله عليه وآله: (دبّ إليكم داء الأمم من قبلكم الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا أقول حالقة الشعر)[٤٦].

والحالقة هي المبيرة أي أن (هذه الخلة المذمومة تهلك الدين وتستأصله كما تستأصل الموسى الشعر)[٤٧].

ومثل هذا الاقتباس كثير في كلام الإمام علي عليه السلام، وهو اقتباس ينبئ عن حفظ وتشبع للحديث النبوي بحيث يقتطف ألفاظاً ويترك أخر بما يناسب موضع شاهده (قاصداً إلى طبع أسلوبه بطابع إسلامي صريح)[٤٨]، كما يقول الأستاذ صبحي الصالح.

ويبدو أن لإحكام النسج بين الصورة المقتبسة من الحديث النبوي وفقر الإمام عليه السلام وتشابه الأسلوبين يعزى السبب في الاختلاف في نسبة بعض الصور من جوامع الكلم إليهما (صلوات الله عليهما وعلى آلهما)، خاصة وإن الإمام علياً عليه السلام يروي جملة كبيرة مما حفظ لرسول الله صلى الله عليه وآله من جوامع كلمه فقد ذكر الجاحظ أكثر من ثلاثين حديثاً في كتابه البيان والتبيين[٤٩]، فلا غرابة أن تجيء جملة من جوامع الكلم اختلف في نسبتها إليهما (عليهما الصلاة والسلام) كمثل قوله صلى الله عليه وآله: (من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)[٥٠].

وقوله: (ما هلك أمرؤ عرف قدره)[٥١]، وقوله: (القناعة مال لا ينفد)[٥٢]، و(الحجر الغصيب في الدار رهن بخرابها)[٥٣]، ويقول الرضي في هذه الكلمة (ويروى هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله ولا عجب أن يشبه الكلامان لأن مستقاهما من قليب ومفروغهما من ذنوب)[٥٤]، ويقول في قوله صلى الله عليه وآله: (العين وكاء السه)[٥٥]، (ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقد ذكر محمد بن يزيد المبرد في الكتاب المقتضب في باب اللفظ بالحروف وفي الأظهر الأشهر أنه للنبي عليه الصلاة والسلام)[٥٦].

وليس الأمر غريباً في ذلك خاصة إذا

تذكرنا قول الإمام علي عليه السلام نفسه: (والله ما أسمعكم الرسول شيئاً إلا وهاأنذا مسمعكموه)[٥٧] ■

(١) ينظر: تاريخ الطبري، ج٢ ص٣١٣.
(٢) ينظر: خطبة الإمام علي (وقد علمتم موضعي...) في شرح النهج، ج٣ ص٣٦٩.
(٣) حياة أمير المؤمنين في عهد النبي، ص٤١.
(٤) تاريخ الطبري، ج٢ ص٣١٣.
(٥) سيرة ابن هشام، ج١ ص٢٢٨.
(٦) عبقرية الإمام علي، ص١٦.
(٧) شرح النهج، ج٣ ص٣٦٩.
(٨) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج١٠ ص١٧٩.
(٩) المصدر نفسه، ج٦ ص٣٨٧.
(١٠) المصدر نفسه، ج١١ ص٣٩.
(١١) البيان والتبيين، ج٢ ص١٦.
(١٢) المصدر نفسه، ج٢ ص١٧.
(١٣) المصدر نفسه، ج٢ ص١٥.
(١٤) العقد الفريد، ج٥ ص٦١.
(١٥) الاشتقاق، ص٢٢٠.
(١٦) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج١٨ ص٣٥٢، وينظر: البرهان، ص١٩٨.
(١٧) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج١٨ ص٣٧٢.
(١٨) المصدر نفسه، ج١٨ ص٣٩٥.
(١٩) المصدر نفسه، ج٥ ص٢٥٦.
(٢٠) غريب الحديث لأبي عبيد، ج٣ ص٤٧٩.
(٢١) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج٢ ص١٨٩.
(٢٢) المصدر نفسه، ج٧ ص٧١.
(٢٣) ينظر: البيان والتبيين، ج٢ ص٢٠-٢١.
(٢٤) المصدر نفسه، ج٢ ص١٥.
(٢٥). المصدر نفسه، ج٢ ص٢٠.
(٢٦) غرر الحكم ص٢٦٦، وشرح النهج ج١٨ ص٣٨٢.
(٢٧) شرح المائة كلمة لابن ميثم البحراني، ص٥١.
(٢٨) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج١٨ ص٣٨٢.
(٢٩) البيان والتبيين، ج٢ ص٢١.
(٣٠) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج٢ ص١٨٩.
(٣١) البيان والتبيين، ج٢ ص١٩.
(٣٢) المجازات النبوية، ص١٦١.
(٣٣) ينظر: خطبة الإمام في شرح النهج، لابن أبي الحديد، ج٣ ص٣٦٩.
(٣٤) شرح النهج، لابن أبي الحديد، ج٦ ص٣٨٧.
(٣٥) المصدر نفسه، ج١١ ص٣٩.
(٣٦) المصدر نفسه، ج١٨ ص٢٥٥، وينظر: محاضرات الأدباء، للراغب الاصفهاني، ج١ ص١٤.
(٣٧) ينظر: نهج البلاغة، لصبحي الصالح، فهرست الأحاديث النبوية، ص٨٠٣، وينظر: تصنيف نهج البلاغة، لبيب وجيه بيضون، ص٤٧٥.
(٣٨) شرح النهج، لابن أبي الحديد، ج١٠ ص١٦.
(٣٩) المصدر نفسه، ج١١ ص٣٨، وينظر في المصدر نفسه، ج٩ ص٢٦١.
(٤٠) المصدر نفسه، ج١٠ ص٣١.
(٤١) المجازات النبوية، ص٢٢٢.
(٤٢) المصدر نفسه.
(٤٣) شرح النهج، لابن أبي الحديد، ج١٠ ص١٩٣.
(٤٤) في النهاية (لكل غادر لواء يوم القيامة) ج٤ ص٢٧٩.
(٤٥) شرح النهج، لابن أبي الحديد، ج٦ ص٣٥٤.
(٤٦) التمثيل والمحاضرة، للثعالبي، ص٢٤.
(٤٧) البيان والتبيين ج٢ ص٢٢، وهي من الكلمات التي رواها الإمام علي عن النبي.
(٤٨) المجازات النبوية، ص١٣٧.
(٤٩) كقوله: (العمل العمل... (إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم)، وقوله: (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته وأكل قوته واشتغل بطاعة ربه (وبكى على خطيئته))، وكقوله: (وعليكم بكتاب الله (فإنه الحبل المتين والنور المبين))، ينظر: شرح النهج، لابن أبي الحديد، ج١٠ ص٢٤، ص٣٣، ج١٨ ص١٩٢.
(٥٠) نهج البلاغة، ص٢٧.
(٥١) ينظر: البيان والتبيين، ج٢ ص٢٢-٢٣.
(٥٢) نقله الرازي في تفسيره عن الرسول، ج٤ ص٨٧، ونسبها الآمدي في غرر الحكم إلى الإمام، ص٢٧٢.
(٥٣) منسوبة إلى النبي في التمثيل والمحاضرة، ص٢٨، وفي شرح المائة كلمة، لابن ميثم منسوبة للإمام علي، ص٥١.
(٥٤) منسوبة إلى الإمام علي في شرح النهج، لابن أبي الحديد، ج١٨ ص١٩٢.
(٥٥) منسوبة إلى الإمام علي في المصدر نفسه، ج١٩ ص٧٢.
(٥٦) المصدر نفسه.
(٥٧) المجازات النبوية، ص٢٧٨.

قصيدة:

التقي الخالد

قصيدة في رثاء فقيد العلم والتقى آية الله العظمى
السيد محمد تقي السيد سعيد الطباطبائي الحكيم قدس سره

عبد الأمير جمال الدين •

يا سِراجاً بهِ تُضاءُ الدرُوبُ ... كيفَ يدنُو إلى ضحاك الغروبُ؟
أيّها الفارسُ المحلِّقُ كالنسـ ... ـرِ عُلّواً، مداهُ كونٌ رحيبُ
أيهذا (التقي) يا بحرَ عِلمٍ ... ألف حاشا أنْ يعتَريكَ النضوبُ
أنتَ أقوى من سطوةِ الموتِ بَأْساً ... أنتَ أمضى مَهما ادلَّهَمّتْ خطوبُ
أنتَ أطلعت في الغري شُموساً ... فاستَطالتْ مَواسمٌ لا تغيبُ
حَسبها أنَّكَ المقوم عوداً ... هوَ للآن من نداكَ رَطيبُ
سرتَ شَوطاً بحوزةِ العلمِ تعلي ... صرحَ حقٍ، وأنَّكَ المَوهوبُ
خالدٌ أنتَ في ضميرِ الليالي ... جَبلٌ شامخٌ ورَوضٌ قَشيبُ
قدْ جَرى مِنكَ للهدايةِ نَبعٌ ... عَلويٌ تَهفو إليهِ القُلوبُ

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

فخرُ (آلِ الحكيمِ) إنَّكَ منهم ... عَلمٌ خافِقٌ وَفِكرٌ خَصيبُ
وبأن المجدَ التليد رجالٌ ... شيدوه ولم يفتهم وثوبُ
هكذا أنتَ عزمة ومضاءً ... فرَّ عنْ ناظريك حلمٌ كذوبُ
آيةَ اللهِ قد تجلَّت بْعِلمٍ ... وَاقتدارٍ يذكيه فَذٌّ مهيبُ

فـهـوَ لـلـديـنِ والـفـقـاهـةِ سِفرٌ لبلوغِ الـكـمـالِ دَومـاً دؤوبُ
وربـيـعٌ مـن الـعـطـاءِ ثـريٌّ يـتـهـادى صـبـاحـهُ المشبوبُ

* * * * *

مـا لِقلبي وقـدْ نَـعـاكَ إلـيـهِ قـدرٌ يـعـشـقُ الـكـرامَ رَهـيـبُ
مـسـتـفـز بـهِ الـوفـاء أصـيـلٌ كـادَ مـن لوعة الـفـراق يَـذوبُ
قـم تلمس جـراحـه فـهـي كثرٌ راحَ يـضـرى بجانبيها لَهيبُ
كـل يَـومٍ مـن الأحـبـةِ ركـبٌ بـاتَ يـحـدوهُ آخـرٌ لا يـؤوبُ
أعـزاءٌ؟ وإن قلبي المعزى فيكَ يـا أيّـهـا البعيدُ القَريبُ
حسب هـذا المحب يحفظُ وداً وَسيبقى وإن تـنـاءى الحَبيبُ

* * * * *

ها هو الـدربُ يـومَ غِبتَ اعتراه وَجـعٌ ظـلَّ فـي مـداه يـجـوبُ
يا ابنَ خيرِ الأنـام من راح يَسمو بـنـجـارٍ لـهُ الـفـخـارُ ربـيـبُ
قد فقَدنا بِـكَ الندى وَالأمـانـي وَكـسـا فجرنا البهي شحوبُ
واستحالَ القريض محض قوافٍ واجـمـاتٍ ودمـعـهـا مسكوبُ
بـاتَ (عبد الهادي) يذكيه فكراً عَـبـقـريـاً يـحـارُ فـيـه اللبيبُ
فـسَـلامٌ عـلـيـكَ مـا نـاحَ ورق وسـرتْ في النسيمِ منكَ طيوبُ
وسَـلامٌ يـا سـاكـنَ الخلدِ يبقى سَـرمـديـاً تزجيهِ مـنّـا القلوبُ
واعـتـذاراً (أبـا الـعـلاءِ) فإني خافقٌ مسَّهُ الشجى واللغوبُ
أي قـولٍ إلـى عـلاكَ سَيرقى إنَّ وصفَ العظيمِ شَـيءٌ عَجيبُ
فـإذا جِئتُ واصـفـاً منكَ حـالاً حـارَ فكري وَخانني الأسلوبُ
يـا لـوجـدي عليكَ تـرحـلُ عنّا وَمـقـام العظيم قَـفـرٌ جَـديـبُ
إنّـهُ الـمـوتُ، جـلَّ رَبُّ البرايا كـلِّ نَـفـسٍ إلـيـهِ حَتماً تَـؤوبُ

رأس الإمام الحسين(ع) المقطوع.. ومواصلته للرسالة

نافذة تاريخية وتأويلية

أ. م. د. مشكور العوادي
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

تمهيد

أينعت كلمة الله في فكر الإمام الحسين(عليه السلام) نوراً سرمدياً وعبقاً إيمانياً، فعشعشت على نهجه التوحيدي إخلاصاً نقياً، وعلى اقتدائه الرسالي فتحاً علياً، وأمدت جهاده الروحي فداءً جلياً، حياً وميتاً، ناطقاً على القنا باسلاً علوياً... موحداً في الدنى هادياً وتقياً...

وبعد فلم يكن رأس الإمام الحسين(عليه السلام) المقطوع في كرامته وإعجازه حين نطق بالحق في وجوه الطغاة هو الأول، فقد نطق قبله رأس نبي الله يحيى(عليه السلام) في وجوه حكام منطقة الجليل العتاة في الشام حين قطعوه ورفعوه على القنا أيضاً، وقد ذكره الله في محكم كتابه أنه ولد لأبويه على خرق العادة فأبوه شيخ فان وأمه عاقر، وأنه كان مصدقاً بكلمة من الله وهو تصديقه بنبوة المسيح وإنه كان سيداً وحصوراً وكان نبياً وكان نبياً من الصالحين ومن المجتبين ومن المهديين[1].

ونطق قبله رأس مؤمن آل يس وهو

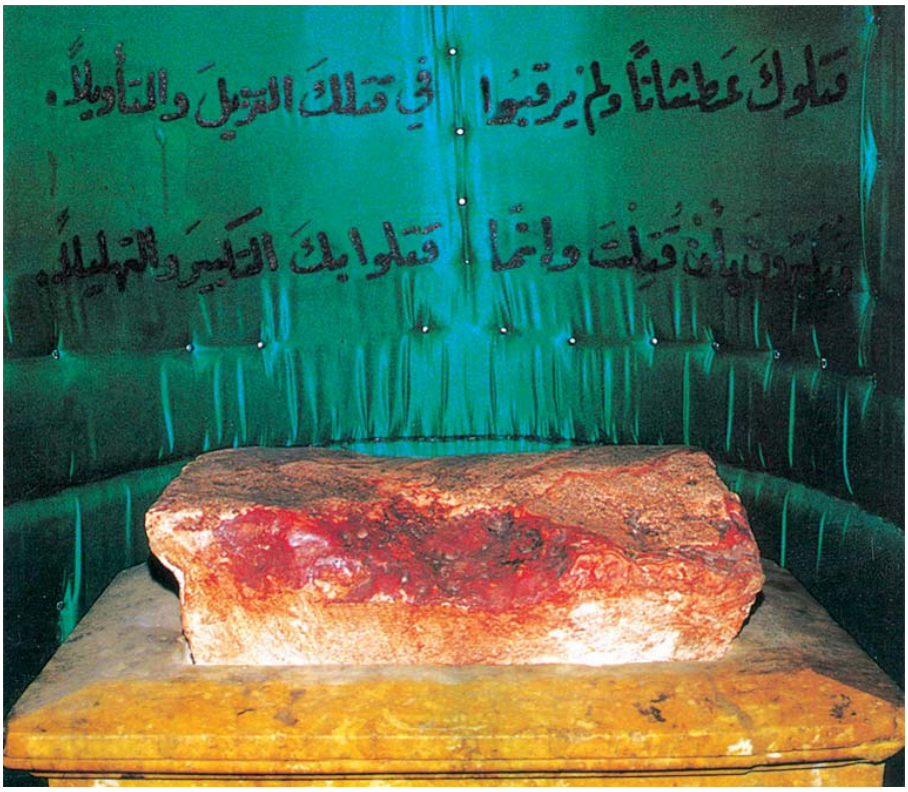

مشهد النقطة في حلب/ الصخرة التي وضع عليها رأس الإمام الحسين عليه السلام

حبيب النجار الذي كان ينحت الأصنام وقد آمن بالرسول محمد صلى الله عليه وآله قبل وجوده وهنا يقول الفخر الرازي حيث صار من العلماء بكتاب الله[٢].

ويحكي القرآن الكريم قصة هذا المؤمن بقوله تعالى: (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين... إلى قوله تعالى: قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين)[٣].

لذا يقول الفخر الرازي في أحد وجوه الآية: (قيل ادخل الجنة): إنه قتل ثم قيل له ادخل الجنة بعد القتل... فقوله تعالى: (قال يا ليت قومي يعلمون): يكون بعد موته والله أخبر بقوله[٤].

إذن قطع الرأس علامة على إنهاء الحياة بشكل تام فلا سبيل لتولج الحياة بين الجزئين المقطوعين ولكن المعجزة وقعت في هذه الرؤوس إذ تولجت ونطقت وكأنها لم يصبها شيء بإذن الله وهنا وقعت الكرامة العالية بخرق العادة.

وصل رأس الحسين عليه السلام بعد أن أطاف به الأمويون ومعه بقية رؤوس الشهداء والسبايا والأسارى من رحل آل محمد صلى الله عليه وآله من الكوفة في العراق إلى دمشق الشام عاصمة الأمويين ومن هنا فقد مر هذا الرأس الشريف بعدة مدن وبلدان كتكريت ونصيبين وقنسرين وحلب

وحماه وبعلبك ثم دمشق الشام.

وهنا من يحتمل أنهم أطافوا بالرأس في أنحاء أخر من الشام ومصر والحجاز حتى وصلوا به إلى مدينة رسول اللهﷺ.

وعلى هذه الاحتمالات تعددت الأماكن واختلفت في تحديد مدفنه، فقد قيل إنه دفن في كربلاء وأنه أعيد ضم الرأس إلى البدن وهذا احتمال مشهور جداً في كتب الإمامية.

وهناك احتمال أبعد أنه دفن في النجف الأشرف إلى جانب والده أمير المؤمنينعليه السلام إلى جهة رأسه الشريف ويدل على هذا الاحتمال ما رواه جعفر بن قولويه القمي في كامل الزيارات عن الإمام الصادقعليه السلام.

واحتمال ثالث إنه دفن في دمشق وهذا خبر نقله ابن نما عن منصور بن جمهور أن يزيد لعنه الله جعل الرأس الشريف في جؤنة حمراء وجعلها في خزانته فلما فتحت بعد زوال ملكه أخذوا الرأس ولفوه بثوب ثم دفنوه في دمشق عند باب الفراديس عند البرج الثالث مما يلي المشرق[٥].

واحتمال رابع أنه دفن في مصر وهذا ما يزعمه أهل مصر وكثير من الشيعة لوجود مقام يزورونه ويتبركون به ويزعمون فيه أن رأس الحسين موجود كما أن هناك مسجداً هو مسجد الإمام الحسينعليه السلام لقيام الدولة الطولونية التي كانت في مصر وقد ازدهر التشيع فيها لأنه يقترب من مذهب الطولونيين وهم الشافعية، وكانت هذه الدولة تحب الشيعة وتحترمهم، حيث كانت دمشق تحت سلطة هذه الدولة فقام أحمد بن طولون بجلب الرأس من دمشق إليها، وقد جاءت بعدها الدولة الفاطمية الشيعية... وهذا احتمال قريب له ما يسوغ تقريبه...

واحتمال خامس أنه مدفون في مدينة الرسولﷺ وأن الذي دفنه هناك هو عمرو بن سعيد الأموي...

ويقول ابن كثير: (وقد اختلف العلماء بعدها في رأس الحسين هل سيره ابن زياد إلى الشام إلى يزيد أم لا على قولين الأظهر أنه سيره إليه وقد ورد في ذلك آثار كبيرة والله أعلم)[٦].

وللعلامة الشيخ محمود قانصو استنتاج في: (أن يكون أركان النظام الأموي برئاسة يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد قد تعمدوا إلى إخفاء الحقيقة وتمويهها فبعثوا برؤوس متعددة إلى أماكن متعددة فكانت كل فرقة وصل إليها رأس تتخيل أنه رأس الحسينعليه السلام ولأجل ذلك تعددت الأقوال في موضع دفن الرأس)[٧].

وعليه نقول بموافقة هذا الاستنتاج لتحقق هذه الخديعة على من لم يعرف الحسينعليه السلام ولم يعايشه، ونخالفه لمعرفة أصدقائه وأقرانه من الناس له ولاسيما في الحجاز، وفوق هذه وتلك سنلحظ كراماته ومعجزاته... ولكن قبلها ينبغي أن نلحظ حال رحل رسول اللهﷺ وهو حال آهات العقيلة زينبعليها السلام إلى جدها المصطفى بصرخات مكلومة توثق الارتباط بين المدينة والطفوف... فمما نقله ابن كثير قوله: (وأما بقية أهله ونسائه... فلما مروا بمكان المعركة ورأوا الحسين وأصحابه مطروحين هناك بكته النساء وصرخن وندبت زينب أخاها فقالت وهي تبكي: يا محمداه يا محمداه صلى عليك الله وملك السماء هذا حسين بالعراء مزمل بالدماء مقطع الأعضاء يا

محمد وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا)[٨].

أما كرامات رأس الحسين عليه السلام والقول بأنه من المعجزات على نحو المجاز لمشابهتها معجزات الأنبياء عليهم السلام، فقد أخذها الرواة وأضافوا إليها وهي مع ذلك تحمل دلالات إعجازية ترهيباً وترغيباً، فهي تقريع وتوبيخ للظلمة والطغاة ونور وهدى لمن ألقى السمع وهو شهيد.

وهذه مهمة الإمام عليه السلام حياً وشهيداً بإعطاء كل فئة ما يناسبها من زاد وهذا ما تجلى في انتقائه لمقاطع الآيات التي كان يقرؤها، مما نقله المؤرخون نورد الآتي:

فمثلاً ما أورده على نطق الرأس: (روي عن زيد بن أرقم أنه قال: مر برأس الحسين عليه السلام عليّ وهو على رمح وأنا في غرفة لي فلما حاذاني سمعته يقرأ: (أم حسبتم أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً)[٩]، فوقف ـ والله ـ شعري، وقلت: والله يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رأسك أعجب وأعجب).

(وما روي عن المنهال بن عمرو أنه قال: أنا والله رأيت رأس الحسين حين حمل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ الكهف حتى بلغ قوله (أم حسبتم أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً)[١٠] فأنطق الله الرأس بلسان ذرب ذلق فقال: أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي).

وروي أنه (نصبوا الرأس أيضاً على شجرة فاجتمع أناس فسمعوه يقرأ (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)[١١].

كما رووا أنه (سمع سلمة بن كهيل أحد فقهاء العامة الرأس وهو على قناة يقرأ (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم)[١٢])[١٣].

ومن هذه الأمثلة الدالة نجد أن رأس الإمام كان ينطق بالقرآن على ما تواتر في كتب التاريخ والملاحم والأدعية وغيرها...

وإن ضرب الجلاوزة له لدليل آخر لكي يسكتوه ولو سكت لما ضربوه...! فصاحبه هو الإمام الحسين عليه السلام عدل القرآن، إذن فهو قرآن ناطق وذكر حي، وأنى للمشركين والملحدين والظلمة أن يسكتوه!

ولقد كانت مقاطع الآيات تخرج من ثنايا شفتيه كأجمل ما يكون الترتيل وأوشح ما تكون التلاوة مع انعدام الحياة فيه فهو معجزة تنطق بمعجزة! هو معجزة بلحاظ كونه ميتاً ينطق وينطق قرآناً والقرآن معجزة، إذن معجز ناطق بمعجز ولكن: استغلقت القلوب التي حوله وهم قتلته، فلم يتعظوا بهذه المعجزة المزدوجة بل ازدادوا في إهانتهم له فزادهم الله انتكاساً وغياً وبعداً عن الحق...

لذا كان النطق بمثابة الذكر الحي لما يؤول إليه أعداؤه، فهو نذير لهم بمآلهم ومصيرهم المحتوم.

ومن هذه الكرامات هو ذلك النور الإلهي الذي كان يحمله هذا الرأس المقدس مواصلاً الرسالة والجهاد لإقامة العدل الإلهي.

يقف عند ذلك مما أخبرنا به الأئمة عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام... أنه قال: (لما أتي برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد كان يتخذ مجالس الشرب ويأتي

بـه فيضعه بين يديه ويشـرب عليه فحضر ذات يوم أحد مجالسـه رسول ملك الروم وكان من أشراف الروم وعظمائها فقال: يـا ملك العـرب! رأس من هـذا؟ فقال له يزيـد: ما لك ولهذا الـرأس؟ قال: إني إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كل شيء رأيته فأحببت أن أخبره بقصة هذا الرأس وصاحبك ليشاركك في الفرح والسرور.

فقـال له يزيد: هذا رأس الحسـين بن علي بن أبي طالب.

فقال: ومن أمه؟ قال: فاطمة الزهراء.

قال: بنت من؟ قال: بنت رسول الله.

فقـال الرسـول: أف لـك ولدينك! ما ديـن أخس من دينك أعلـم إني من أحفاد داود وبينـي وبينه آبـاء كثيرة والنصارى يعظمونـني ويأخـذون التـراب من تحت قدمي تبركاً لأني مـن أحفاد داود وأنتم تقتلون ابن بنت رسـول الله وما بينه وبين رسول الله إلا أم واحدة فأي دين هذا؟

ثم قال له الرسول القادم من الروم: يا يزيد! هل سمعت بحديث كنيسة الحافر؟

فقـال يزيد: قل حتى أسـمع فقال: إن بين بين (عمان) و(الصين) بحراً مسـيرته سـنة ليـس فيـه عمـران إلا بلـدة واحدة فـي وسـط المـاء طولها ثمانون فرسـخاً وعرضهـا كذلـك وما علـى وجه الأرض بلـدة أكبر منهـا ومنها يحمـل الكافور والياقوت والعنبر وأشـجارهم العود وهي فـي أيدي النصـارى لا ملك لأحد فيها من الملوك وفي تلك البلـدة كنائس كثيرة أعظمهـا كنيسـة الحافـر فـي محرابها حقـة من ذهب معلقة فيهـا حافر يقولون: إنه حافر حمار كان يركبه عيسـى وقد زينت حوالـي الحقة بالذهـب والجواهر والديبـاج والإبريسـم، وفـي كل عـام يقصدهـا عالم مـن النصـارى فيطوفون حول الحقة ويزورونها ويقبلونها ويرفقون حوائجهم إلى الله ببركتها، هذا شـأنهم ودأبهـم بحافـر حمار يزعمـون أنه حافر حمـار كان يركبه عيسـى نبيهـم وأنتم تقتلـون ابـن بنـت نبيكـم لا بـارك الله فيكم ولا في دينكم!

فقـال يزيـد لأصحابـه: اقتلـوا هـذا النصرانـي فإنـه يفضحنـا إن رجـع إلـى بلاده ويشـنع علينا، فلما أحس النصراني بالقتـل، قال: يا يزيـد! أتريد قتلي؟ قال: نعم، قال: فاعلم أني رأيت البارحة نبيكم في منامي وهو يقول لي: (يا نصراني أنت مـن أهل الجنة) فعجبـت من كلامه حتى نالنـي هـذا فأنـا أشـهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً عبده ورسـوله ثم أخذ الرأس وضمه إليه وجعل يبكي حتى قتل).

وفـي طريقهم إلى الشـام واصل رأس الإمـام عليـه السـلام إشـعاعه النوراني، وبينمـا هم يسـيرون إذ جن عليهـم الليل فنزلـوا عند رجل من اليهود فلما شـربوا وسـكروا قالوا له: عندنا رأس الحسين، فقال لهم: أروني إياه، فأروه إياه بصندوق يسـطع منـه النـور إلـى السـماء فعجـب اليهودي واسـتودعه منهـم فأودعوه عنده فقـال اليهـودي للـرأس أن يشـفع له عند جـدّه، فانطـق الله الـرأس، وقـال: (إنما شـفاعتي للمحمديـن وليسـت بمحمدي) فجمـع اليهودي أقربـاءه ثم أخـذ الرأس ووضعه في طسـت وصب عليه ماء الورد وطـرح فيـه الكافور والمسـك والعنبر، ثـم قـال لأولاده وأقربائه: هـذا رأس ابن بنت محمد ثم قال: والهفاه! لم أجد جدك محمـداً فأسـلم علـى يديه وأقاتـل دونك فلو أسلمت الآن أتشـفع لي يوم القيامة؟

مسجد الحنانة/ موضع رأس الإمام الحسين عليه السلام

فأنطق الله الرأس فقال بلسان فصيح: إن أسلمت فأنا لك شفيع قالها ثلاث مرات، وسكت فأسلم الرجل وأقر بالشهادة[١٤].

إذن شفاعته وتشفعه وهو قطيع كان ذلك لمنزلته عند الله، وما كان ذلك الإشعاع النوري إلا من نفس مخرج الناطقية (عمود من النور) من فمه إلى السماء، وهذه هي الإمداد التعويضي للمقدرة على الكلام والمواصلة، فالنور الساري من السماء إلى فم الإمام عليه السلام هو المنطق له بالقرآن إذ يتجسد كلاماً أمام الناس فمنهم من اهتدى كالراهب الدمشقي ومنهم من ظل على ضلالته، من هنا نقول إن نطق الرأس في الكوفة وفي الشام وفي المسيرة بينهما كان لمناسبات توعظية محسوبة، مدللاً على أنه آية ذلك أنه لا يمكن الإتيان بمثله، (رأس مقطوع وهو ينطق) لتتجلى كرامته في اعجازية نطقه ومواصلة الرسالة... هذا فضلاً عن عدم اعتواره بملامح الفساد النتانة أو الاندثار الموتي بل العكس عند مسير القافلة بل كان يضيء لحملة الرؤوس (وهم من فساق الأمة) وطريقهم المظلم إلى شام يزيد الفاجر، وتأويل ذلك أن الرأس هو رحمة إلهية مطلقة لمحبيه وشانئيه على السواء، أما عدم اعتواره بملامح الفساد فللحفظ الإلهي المكنون لرؤوس الشهداء وأجسادهم وهم أحياء عند ربهم يرزقون.

كان الرأس الحسيني بمثابة امتداد رسالي للدعوة المحمدية لذا فهو مكتنف بكل ما يدعم هذه الدعوة وطرق الهداية وسبل الرشاد لذا تبدت عليه بعض الخوارق والكرامات التي صرعت عقول الجهلة وكبتت أهواءهم المفسدة، فهو من آثار التوحيد والإعجاز، رأس قطيع يتكلم بالقرآن وهو معجزة ولكنه يهدي إلى التوحيد والحق هي معجزة أخرى من هنا كان انتقاء الإمام عليه السلام لمقاطع الآيات ذات مقتضى عقائدي وأسلوبي واضح، فقد نذر الإمام عليه السلام نفسه في الحياة لله سبحانه، وقد تحقق له ذلك في الممات إذ أصبح الكلام لله ومحله الرأس الحسيني (على شكل ناطقية بالقرآن من فم الرأس المرموح).

لذا كان استشهاده بآيات من سورة الكهف في الغالب لوجود قصص فيها تدل على الإعجاز الإلهي، فهي تمثل الامتداد الحصني للتوحيد المحمدي (لأن التوحيد هو كهف المؤمنين (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر...)[١٥] حقاً علينا إنا كنا فاعلين، هذا من جهة (الما قبل) الافتتان بالعقيدة أما من جهة (المابعد) فهي تمثل الامتداد السري للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، (وافتتان الناس بزبرجد الدنيا وزخرفها) لذا فالسورة وما تحويه من أسرار قصصية تؤول على أحداث آخر الزمان وهو متفق عليه بما يحقق التواصل الرسالي القبلي والبعدي بين الرسول المصطفى وحفيده المهدي في إقامة العدل الإلهي.

وعلى ما تقدم نخلص إلى العبر النيرة الآتية:

- إن رأس الحسين عليه السلام هو أشرف منطقة في جسم ولي الله، وهو يمثل بقاء الداعية للثورة الحسينية واستمرار النبراس وتوقد المشعل الدموي في طريق مبادئ السماء على مر العصور.
- كان الرأس في أيدي الأعداء هو

القائد لمسيرة (قافلة السبي) في حين ظن جهلة أمية وفساقها هم القادة، والأمر عند الله عكس معكوس إذ الرأس الناطق هو الدليل المرشد والهادي المبين في بادية الشام المقفرة.

ـ لقد كان الإمام الحسين عليه السلام في يوم العاشر خطيباً مفلقاً في كراديس جيش البغي الأموي وقد استمدت خطبه طوال نهار العاشر من محرم أي يوماً أو بعض يوم واستمد الخطاب الحسيني من على الرأس (المرموح) استمراراً إرشادياً ووعظياً مدوياً ولكن على مدة زمنية أطول لاستغراق مسيرة القافلة شهراً تقريباً من الكوفة إلى الشام.

نعم فقد احتلت تفوهات الرأس مساحة أكبر من خطب الإمام عليه السلام في اليوم العاشر وقد قوى هذه المساحة خرق العادة لأنه مقطوع زد على ذلك أن القلوب ثكلى والعيون عبرى والنفوس لما تستهدئ وشياطين البيت الأموي قد غلفت قلوبهم أوقاراً موقرة فهم كالبهائم لا يسمعون ولا يستوعبون خطاباً وإن كان ذلك الخطاب بالطريق الإعجازي!

ـ استبانت مقولة الإمام الحسين عليه السلام في رحله في مكة (فمن كان يبغي معنا الفتح فليتوجه إلى العراق) (فأي فتح يقصده الإمام عليه السلام هل هي الأشلاء الممزقة على أديم كربلاء أو الفتح شيء آخر غيبي قصده الإمام عليه السلام؟ وذلك لما نطق الرأس استبانت ماهية ذلك الفتح.

فالرأس الحسيني القطيع ينطق بالآيات لإبانة الحق لهم وهم طواغيت أمية، فبعد أن عجز حسبه الشريف وأنه ابن فاطمة عليها السلام عن أن يردعه عن قتله، كانت ناطقية الرأس في فلاة الشام تحت السماء الداجية هي الفتح المبين وقد كان هذا اللغز لا يمكن أن يحل لولا نطق الرأس بما نطق به والله أعلم.

ـ إذن فالرأس الحسيني جسر تواصلي بين الرسالة المحمدية والبعثة المهدوية وهكذا يتكامل أهل البيت عليهم السلام في خط إلهي واحد لا يشوبه النقصان ولا يعتوره الحدثان، لأن الإمام الشهيد هو وصل الارتباط بين سابق الإسلام ولاحقه فهو المستحفظ على إرث الأنبياء بحفيده المغيب وإرث الأديان.

والحمد لله أولاً وآخراً■

---

(١) ينظر في تفصيل القصة: تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، ١٤/٢٨-٣١.
(٢) التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب، ٢٦/٥٥.
(٣) سورة يس، الآيات: ٢٠-٢٧.
(٤) التفسير الكبير، ٢٦/٦٠، وينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، ٦/٢٥٢-٢٥٥.
(٥) ذكر هذه الاحتمالات العلامة الشيخ محمود قانصو في كتابه (ما بعد كربلاء)، تنظر: ص٣٤-٣٥.
(٦) استشهاد الحسين، ص١١٠.
(٧) ما بعد كربلاء، ص٣٦.
(٨) استشهاد الحسين، ص١١١-١١٢.
(٩) سورة الكهف، الآية: ٩.
(١٠) سورة الكهف، الآية: ٩.
(١١) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.
(١٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٧.
(١٣) نقلاً عن (ما بعد كربلاء)، ص٣٧، وينظر: مصائب رأس سيد شباب أهل الجنة، للسيد علي الحسيني، ص١٠٤-١٠٨.
(١٤) ينظر: مقتل الخوارزمي، ٢/١٠٢-١٠٣، مصائب رأس سيد شباب أهل الجنة للسيد علي الحسيني، ص٨٥-٨٩.
(١٥) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

حبيس سامراء

السيد محمد علي الحلو •
باحث وكاتب إسلامي

تمهيد

كانت سامراء تغفو على وقعات سير قافلة قدمت تواً من المدينة يرافقها يحيى بن هرثمة أحد أعوان الخليفة، وكانت تلك المدينة حالمةً ببيرق مجد يرفل مستقبله بحلم ينشد في غمرة نشوة تأسيس العاصمة الجديدة، على إثر تداعيات دفعت بالمعتصم أن يترك بغداد ليؤسس لعسكره مدينة (سر من رأى) بعد أن أطلق عليها أهلها (العسكر)، وهي اليوم تنتظر مفاجأة قافلة الضيوف وقد شارفوا على دخولها لتحط بهم القافلة في ليل الغربة بعد طي مسافات المكان والزمان لتحل في خان يسمى (خان الصعاليك) يتوافد إليه أهل الفاقة وذوو الحاجة من كل الأقطار لينزلوا هذا الخان المتواضع وهو إجراء الخليفة الذي خشي من انثيال الناس على القادمين من مدينة جدهم وهم يحملون عبير ذكراه القدسية.

ولم يخف على الخليفة إعجاب أولئك النفر الذين يرافقون الضيفين فإنهم سينقلون سيرة محمودة تحدو بالكثيرين أن يعبروا عن دهشتهم لما يتناقل من أخبار تشد معها القلوب وتهفوا إليها نفوس الكثير من المتطلعين إلى

سيرة النبي صلى الله عليه وآله وهديه وخشي المتوكل أن يفتتن به الناس بعد أن كتب له عامله على المدينة عبد الله بن محمد وهو نائبه في الحرب والصلاة بأن أبا الحسن يدعو لنفسه فاضطرب المتوكل لما اعتراه من نبأ الوشاية بأبي الحسن عليه السلام وهمّ به وهو ما دعا المتوكل إلى اتخاذ قرار الإبعاد لأبي الحسن الهادي وولده عليهما السلام.

هكذا كان علي بن محمد الهادي عليه السلام في نظر الناس وكان ولده الحسن عليه السلام كأبيه كذلك حيث تصبو إليه النفوس وتتطلع له الجموع دون أن يمنعها إصرار المتوكل على تحجيم هذا الحب والولاء الذي تكنه الأمة له دائماً.

كان الحسن بن علي عليه السلام يشكل خطراً مزدوجاً في نظر السلطة العباسية فمن جهة يمثل الإمام العسكري عليه السلام سلسلة الإمامة الممتدة من آبائه الطاهرين والتصدي لمنصب الإمامة يعد خطراً كبيراً يهدد السلطة ويقلقها حقيقة، وكما أشرنا في مواطن معينة فإن النظام ينظر إلى أي إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام بأنهم معارضة صامتة تودي بكياناتهم دون أدنى ريب، أي أن الإمام بموقعه القيادي لقلوب الأمة يهيمن عليها بشكل لا يمكن معه السكوت ما لم يترجم هذا التوجس إلى حقيقة فعلية تدعو النظام إلى تصفيته جسدياً، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن مخاوف النظام تتضاعف حينما تجد نفسها أما خطر جدي، وهو أن الإمام العسكري عليه السلام هو المولود منه الإمام الحجة المنتظر الذي تبشر به الروايات النبوية من طريق الفريقين، ومعنى هذا أن الإمام القادم

من خفايا الغيب وهو المهدي الموعود سيقضي على أنظمتهم السياسية هذه وكياناتهم الحاكمية، وبذلك ستكون ولادة الموعود إيذاناً بنهاية الحاكم السياسي ونظامه فكيف والسلطة ترى أن الحسن العسكري عليه السلام والد الإمام الموعود قد تصدى للإمامة؟

فهي إذن لابد أن تشدد وطأتها عليه وتتعامل معه على أنه كيان يهدد مستقبلها، وبالفعل فقد دخلت هذه المخاوف حيز التنفيذ حينما تعرض الإمام عليه السلام إلى سجون متعددة دون أي سبب بل بمجرد أنه والد الموعود المهدي المنتظر (عجل الله فرجه)، واتخذت الاحترازات الأمنية في هذا الشأن مضماراً آخر، إذ تعرض الإمام عليه السلام وأتباعه إلى مطاردات النظام، حيث التحرزات الأمنية طالت حاشية الإمام عليه السلام هذه المرة، في حين جد النظام العباسي إلى هذا الإجراء في زمن الإمام الكاظم عليه السلام إلا أن الرشيد كان يعرض الإمام الكاظم عليه السلام وحده لمضايقات الحبس دون أن يزج أتباعه معه، في حين كان المتوكل ومن تلاه من حكام بني العباس يتربصون بالإمام عليه السلام ويتفننون في إيذائه والحد من عمله وتحركاته.

كان الحسن بن علي عليهما السلام قد أثبت أنه قديس آل محمد (صلوات الله عليهم) حيث هيمن على قلوب الناس وامتلك أحاسيسهم ولم يقتصر الأمر على المؤمنين بل كان شر الناس قد أذعن لهذا الإمام عليه السلام واستمكن منهم حتى صار هؤلاء يقولون بإمامته وأنه لعلى هدىً عظيم.

روى ابن شهر آشوب عن محمد بن إسماعيل العلوي قال: دخل العباسيون على صالح بن وصيف عندما حبس أبا محمد، فقالوا ضيق عليه، قال: وكلت به رجلين من شر من قدرت عليه، (علي بن يارمش) و(اقتامش)، فقد صار من العبادة والصلاة، إلى أمر عظيم يضعان خديهما له ثم أمر بإحضارهما، فقال: ويحكما ما شأنكما في شأن هذا الرجل؟ فقالا: ما تقول في رجل يقوم الليل كله ويصوم النهار لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة فإذا نظرنا إليه ارتعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا[1].

بل كانت معجزاته عليه السلام شأناً آخر أخذ مدياته الواسعة حيث تعرض من خلال سجنه إلى عدة محاولات لتصفيته وكانت هذه المحاولة نموذجاً لذلك فقد سُلّم الإمام العسكري عليه السلام إلى يحيى ابن قتيبة وكان يضيق عليه، فقالت له امرأته: اتق الله فإني أخاف عليك منه، قال: والله لأرمينه بين السباع، ثم استأذن الخليفة في ذلك فأذن له، فرمي به إليها ولم يشكوا في أكلها إياه فنظروا إلى الموضع فوجدوه قائماً يصلي، فأمر بإخراجه إلى داره[2].

وروي أن يحيى بن قتيبة الأشعري أتاه بعد ثلاث مع الأستاذ فوجداه يصلي والأسود حوله فدخل الأستاذ الغيل [موضع الأسد] فمزقته وأكلته وانصرف يحيى في قومه إلى المعتمد فدخل المعتمد على العسكري عليه السلام وتضرع إليه وسأل أن يدعو له بالبقاء عشرين سنة في الخلافة، فقال عليه السلام: مد الله في عمرك، فأجيب وتوفي بعد عشرين سنة[3].

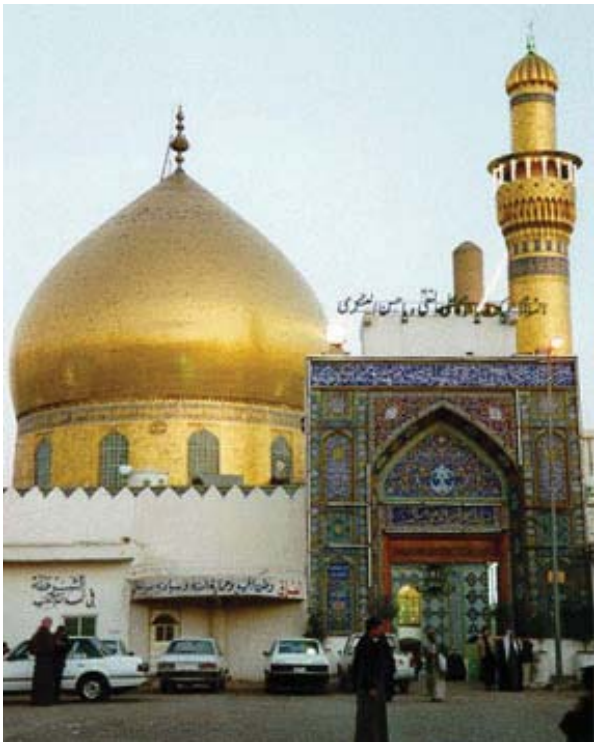

ولم يخف المعتمد ما في نفسه من التقديس والتبجيل للإمام عليه السلام بعدما رأى منه (صلوات الله عليه) من معاجز وكان حبه للدنيا وتعلقه بها أن لم يشأ إلا أن يفكر بما تصبو إليه نفسه من تفانيه من أجل منصبه مما دعاه إلى أن يتضرع إلى الإمام عليه السلام بأن يمد الله له في عمره ليتمتع بهذه الدنيا الزائلة، والإمام عليه السلام لا يرى في مطلب المعتمد إلا حالة الضعف لديه من أجل أن يبلغ ما تصبو إليه نفسه فقط فهو مبلغ علمه من الدنيا وما بعدها فلم يجد المعتمد ما يبرر التفكير بها! والإمام عليه السلام عنده الدنيا أهون من جناح بعوضة ـ كما وصفها الأئمة عليهم السلام من ذي قبل ـ.

ولما كان المستعين قد أسرف في إيذاء الإمام عليه السلام دعا عليه السلام على المستعين ولم يمهله الله تعالى إلا ثلاثاً.

فعن علي بن محمد بن زياد الصيمري قال: دخلت على أبي أحمد ابن عبد الله بن طاهر وفي يديه رقعة أبي محمد عليه السلام فيها: إني نازلت الله في هذا الطاغي ـ يعني المستعين ـ وهو آخذه بعد ثلاث، فلما كان اليوم الثالث خلع وكان من أمره ما كان إلى أن قتل[٤].

وكان رجال السلطة يتهددونه بالقتل والتصفية ويضطرب عند ذلك شيعته ومواليه إلا أن الله تعالى كان يدفع عنه عادية الانتقام والبلاء وكان يطمئنهم بأن هذا لا يحدث وليس هو أجله بل كان يعلم ما سيجري على هؤلاء قبل أن يوقعوا به المكروه، فمثلاً كتب إليه

أحمد بن محمد حين أخذ المستهدي في قتل الموالي: يا سيدي الحمد لله الذي شغله عنا، فقد بلغني أنه يتهددك ويقول: والله لأجلينهم عن جديد الأرض فوقع أبو محمد عليه السلام بخطه (ذلك أقصر لعمره عد من يومك هذا خمسة أيام ويقتل في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف يمر به) فكان كما قال عليه السلام[٥].

ولم تفلح محاولات المعتز العباسي في تصفيته حيث لم يمهله الله بذلك وكفى أبا محمد شره.

فقد روى محمد بن بلبل: أمر المعتز سعيد الحاجب أن أخرج أبا محمد إلى الكوفة ثم اضرب عنقه في الطريق، فجاء توقيعه عليه السلام إلينا (إن سمعتموه تكفونه)، فخلع المعتز بعد ثلاثة أيام وقتل[٦].

ومثله ما كتبه محمد بن عبد الله حيث قال: لما أمر سعيد بحمل أبي محمد عليه السلام إلى الكوفة قد كتب إليه أبو الهيثم: (جعلت فداك، بلغنا خبر أقلقنا وبلغ منا)، فكتب: (بعد ثلاث يأتيكم الفرج)، فقتل المعتز يوم الثالث[٧].

ويبدو أن الحادثتين متكررتان حيث كان قلق الشيعة يدفعهم إلى الكتابة للإمام عليه السلام ليستبينوا الحال، وكان الإمام عليه السلام يعلم عواقب الأمر.

وقد روى أبو هاشم الجعفري مشاهداته في السجن حيث كان الإمام العسكري عليه السلام يطمئنه بما تؤول إليه الأمور، فقد روى أبو جعفر الطوسي: قال أبو هاشم الجعفري: كنت محبوساً مع الحسن العسكري في حبس المهتدي بن الواثق فقال لي في هذه الليلة يبتر الله عمره، فلما أصبحنا شغب الأتراك وقتل المهتدي وولي المعتمد مكانه[٨].

ومما وقع للإمام في حبس العباسيين أنهم أدخلوا أحد العيون إلى حبسه ليتجسس على الإمام عليه السلام وأصحابه فأخبر الإمام عليه السلام أصحابه وأمرهم بالحذر منه وأعلم بعضهم زمان الإفراج عنه فكان كما قال عليه السلام.

فقد رأى [أي الإمام عليه السلام] أبا محمد والحسن بن محمد العقيقي ومحمد بن إبراهيم العمري في الحبس فقال عليه السلام: لولا أن فيكم من ليس منكم لأعلمتكم متى يفرج عنكم - وأومئ إلى الجمحي أن يخرج فخرج - فقال أبو محمد: هذا الرجل ليس منكم فاحذروه، وأن في ثيابه قصة قد كتبها إلى السلطان يخبره ما يقولون، فقام بعضهم ففتش ثيابه فوجدوا القصة يذكرهم فيها بكل عظيمة[٩].

وعن أبي هاشم الجعفري قال: كنا نفطر مع الحسن عليه السلام فضعفت يوماً عن الصوم، وأفطرت في بيت آخر على كعكة فريداً ثم جئت فجلست معه، فقال لغلامه: أطعم أبا هاشم شيئاً فإنه مفطر فتبسمت، فقال: ما يضحكك يا أبا هاشم؟ إذا أردت القوة فكل اللحم فإن الكعك لا قوة فيه[١٥].

ويبدو أن هذه القضية وقعت في الحبس حيث روى بعضهم ذلك.

والمهم في الأمر أن تعدد هذه الروايات يشعرك بطول فترات الحبس الذي عاناه الإمام العسكري عليه السلام، وإن كانت في مدد متفاوتة وهذا يكشف محنة الإمام عليه السلام في ظرف سياسي قاهر قد فرض على الإمام أن ينتقل من سجن إلى سجن، وكانت بعد ذلك نهاية الإمام عليه السلام مسموماً على يد المعتمد بعد أن قرر القضاء عليه وتصفيته جسدياً، وبهذا تنتهي معاناة الحبيس في الثامن من ربيع الأول سنة ٢٦٠هـ بعد أن دس له المعتمد سمه القاتل فانتقل إلى جوار ربه راضياً مرضياً يشكو اهتضامه ومظلوميته ■

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ٤٦٢/٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) قادتنا، آية الله السيد عباس الميلاني، ١٤٢/٧.
(٦) المصدر السابق.
(٧) المصدر السابق.
(٨) مناقب ابن شهرآشوب، ٤٦٣/٤.
(٩) المصدر السابق.

اعتذار وتنويه

تصاحب العمل بعض الأحيان حالة من السرعة وخلال هذه الحالة سقطت عند صف الحروف في موضوع (الريان بن شبيب) المنشور في مجلتنا ص٢٨ أسطر ص٣٠ (تحت فقرة قبل البدء) أحببنا الاعتذار من كاتب المقال الأستاذ (علي سعد النجفي) كما رأينا من الواجب التنويه عما سقط منها في الصفحة المذكورة (... إذا أردنا أن نراجع كتب الرجال فإننا نجد بأنها لم تحتل سوى مساحة صغيرة جداً فبقيت أخبارهم متناثرة هنا وهناك من دون القول إلى ضياع أكثرها مما أدى إلى الوقوف أمام رواة مجهولين لا نعرف عنهم شيء سوى ما نقلوه عن أئمتنا عليهم السلام، فمن خلال تتبعنا لسيرة هذا الرجل استطعنا أن نلملم شذرات من هنا وهناك.

الولادة:

ولد الريان بن شبيب في منطقة (السُغْدْ) وتقع هذه المنطقة بين مدينتي (سمرقند) و(بخارى) وقد وصفها ياقوت في معجم البلدان حيث قال: (السغد بضم أوله وسكون ثانيه وآخره دال مهملة ناحية كثيرة المياه نضرة الأشجار متجاوبة الأطيار مونقة الرياض والأزهار ملتفة الأغصان خضرة الجنان تمتد مسيرة خمسة أيام لا تقع الشمس على كثير من أراضيها...

موقفان في حياة الإمام السيد محسن الحكيم قدس سره

حيدر المالكي •

ينابيع

للنجف الأشرف خصائص وميزات حباه الله به دون باقي أصقاع الأرض، فقد حوى مرقد إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين علي بن أبي طالب عليه السلام، ذلك المرقد الذي سامى السماء رفعة وطاولها شموخاً، إضافة لهذه الميزة فقد أصبح النجف مهداً للعلم ومأوى للعلماء، فاختلف إلى معاهده ومدارسه المتمثلة بحوزته الرصينة الرشيدة آلاف الطلاب والباحثين الذين اتخذوا من هذه المدينة المباركة قاعدة لينطلقوا منها إلى المدن والحواضر الإسلامية، فأصبح بحق مصنع الرجال، رجال اضطلعوا بالدور الرسالي والقيادي للأمة فكانت المهمة مزدوجة، مهمة إدارة العملية التعليمية في الحوزة العلمية بكل ما تحمله الإدارة من مسؤولية ومعنى، ومهمة إدارة المجتمع بأكمله وفق رؤية خاصة في توجيهه وإرشاده، من خلال زرع المبادئ الإسلامية وتحشيد الطاقات في إحقاق الحق وإزهاق الباطل، مستندين بذلك كله إلى الثوابت التي أرسى قواعدها أئمة أهل البيت عليهم السلام في دعوتهم الحق.

وقد برز السيد الحكيم قدس سره بين هؤلاء الرجال العظام، قائداً موجهاً، وربانا مسيراً لسفينة الأمة التي ما برحت الأمواج العاتية

الإمام الحكيم قدس سره أثناء زيارته لمرقد أبي الفضل العباس عليه السلام

والرياح الشديدة تتقاذف بها في خضم البحر، فكان الحكيم هو الحكيم الذي وأد الفتنة وأزال الشبهة، مسدداً بالعناية الإلهية، ومؤيداً برعاية الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف).

لقد كان سيدنا الحكيم قدس سره مدركاً تماماً للدور الذي تلعبه القوى الاستعمارية في المنطقة، وللنتائج التي تتوخاها، خصوصاً وقد شهدت تلك الفترة تصاعد اللهجة بين المعسكرين الشرقي والغربي وكلاهما يحاولان إيجاد مناخ ملائم لزرع أفكارهما في المجتمع العربي، فكان السيد الحكيم قدس سره العين الباصرة واليد الضاربة في آن واحد، وقد امتاز بـ(خصائص مرجعية فائقة أبرزها، توحيد الكلمة، وشجب الطائفية والعرقية، ورعاية العلم والعلماء، والاهتمام بعنصر الشباب في إدارة شؤون الأمة)[1].

وها هي تمرّ علينا الذكرى الثامنة والثلاثون على وفاته ولاتزال ذكراه العطرة تنشر عبق أريجها في فضاءات الإسلام، وما مواقفه، مشاريعه، ومؤلفاته إلا شواهد حية تؤكد خلوده قدس سره.

وبهذه المناسبة أحببنا أن نسلط الضوء على بعض المواقف، التي أبدى بها قدس سره حزماً ينم عن مقدرة ونظرة واقعية للأحداث التي تعرض لها المسلمون في العراق أو في غيره من أقطار الإسلام. ولا مجال للإحاطة بجميع مواقفه الرسالية والجهادية من أجل إعلاء كلمة الحق والدعوة إليه، ولكن

أحببنا أن نسلط الضوء على موقفين فقط.

قبل أن نتعرض لذلك لابد لنا من الإطلالة على حياته الكريمة التي عاشها ملتزماً (الزهد والالتزام بالمستوى المعيشي البسيط، والمتواضع، والمهذب من التشريعات والتزيينات إلى آخر عمره، سواء في سلوكه الشخصي في المأكل والملبس والمسكن والمركب أم في سلوكه العائلي، أم في سلوكه الاجتماعي)[٢].

فهو (السيد محسن بن السيد مهدي ابن السيد صالح بن السيد أحمد بن السيد محمود بن السيد إبراهيم بن الأمير السيد علي الحكيم الطباطبائي النجفي، ينتهي نسبه الشريف إلى الإمام الحسن بن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام)[٣].

ولد في يوم عيد الفطر عام (١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م) في النجف الأشرف (وتوفي والده في بلاد الهجرة (جبل عامل) سنة ١٣١٢هـ، وعمره ست سنوات، وتركه مع والدته وأخيه الأكبر آية الله السيد محمود الحكيم قدس سره الذي كان يكبره بعشر سنوات لتتولى الأم والأخ الكبير تربيته ورعايته في ظروف عائلية ومعاشية صعبة، ولذا بدأ حياته إنساناً مجاهداً لنفسه وفي مجتمعه، وكان عليه أن يختار منهجه ويشقّ طريقه معتمداً على الله تعالى وعلى النفس والإرادة وحسن الاختيار)[٤].

تنقل الإمام الحكيم قدس سره في حياته الدراسية الحافلة، بعد أن أتقن المقدمات على يد أخيه السيد محمود الحكيم، وعلى آخرين، وتفرغ للدراسات العليا والبحث الخارج فقهاً وأصولاً ودراية على أشهر علماء عصره وأبرزهم:

١- الشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بالآخوند.

٢- الشيخ آغا ضياء الدين العراقي.

٣- الشيخ علي باقر الجواهري النجفي.

٤- الشيخ ميرزا محمد حسين الغروي النائيني.

٥- السيد محمد سعيد الحبوبي.

كان للسيد محمد سعيد الحبوبي مع والد السيد الحكيم السيد مهدي علاقة صداقة حميمة، ألقت بظلالها على علاقته مع السيد محسن حيث لمس فيه ما لمس في أبيه فضمه إلى درسه، ثم ما لبث أن استدعاه إلى الانخراط بطريق النضال ضد الغزو البريطاني من أوسع أبوابه (فكان سيدنا الحكيم قدس سره منذ أول شبابه حتى وفاته مجاهداً، فقد صحب السيد الحبوبي إلى الشعيبة منذ اللحظة الأولى لدى تحركه من النجف الأشرف في ٢٦/ محرم الحرام/ ١٣٣٣هـ، ١٠/١٦/ ١٩١٤م، وكان كاتم سرّه، وحامل ختمه، ومستشاره الخاص، رافقه وهو يقود كوكبة المجاهدين العراقيين ضد الاحتلال الانكليزي)[٥].

وبدأت رحلته العلمية العليا حيث يذكر السيد هاشم فياض: (في سنة ١٩١٥/١٣٣٣ شرع في تدريس مرحلة السطح العالي على مستوى الكفاية والرسائل، فكانت أول دورة باحثها خارجاً سنة ١٩١٩/ ١٣٣٨)[٦].

أما طلبته الذين عدّهم السيد هاشم فبلغوا (١٥١) طالباً وهؤلاء الذين تبوؤا مكانة مرموقة في المرجعية.

أما الدكتور الصغير فيقول: (تتلمذ على يد الإمام الحكيم في بحثه الخارج عدة آلاف من طلاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف - عراقيين ومهاجرين - ونظراً لبعد المدة وتطاول الزمن، وموت الرجال فيتعذر الاحصاء)[٧].

أما مؤلفاته فكانت حصيلة عمره

الشريف نذكر منها[٨]:

١ـ مستمسك العروة الوثقى في إثني عشر مجلداً، فقه استدلالي.

٢ـ حقائق الأصول في مجلدين، أصول، عام ١٣٢٧هـ.

٣ـ نهج الفقاهة، طبع منه الجزء الأول، فقه استدلالي، عام ١٣٧٤هـ.

٤ـ دليل الناسك، فقه استدلالي، طبع عام ١٣٧٧هـ.

٥ـ منهاج الصالحين، بجزئين (العبادات والمعاملات).

٦ـ منهاج الناسكين، فقه فتوائي خاص بمناسك الحج والعمرة.

إضافة لمجموعة من المؤلفات الخطية كتقريرات أستاذه آية الله الشيخ آغا ضياء العراقي وبعض الرسائل والتعليقات.

وبعد عمر مزدحم بالعمل الرسالي مثقل بهموم المرجعية الدينية، منهك من المرض والاعياء انتقلت روح سيدنا الحكيم قدس سره الطاهرة إلى بارئها في يوم ٢٧ ربيع الأول ١٣٩٠هـ/ ١ حزيران ١٩٧٢م بعدما أدّت الأمانة حق الأداء فسلام عليه يوم ولد ويوم التحق برضوان الله ويوم يبعث حياً.

وقد رثاه جمع غفير من الشعراء، منهم السيد موسى بحر العلوم[٩] حيث قال مؤرخاً:

بوركت في الوادي المقدس بقعةً
ما كان لولا من تضمن أيمنا
والدين أذن في الرحيل مقوضاً
ليرى له في أرض لحدك موطنا
بثراك بات موسداً أمل الورى
يا جنة المأوى ومقبرة المنى
تبعاً لقائده (الحكيم) كأنما
متعاقدان معاً على أن يظعنا
حلّى معاقد لحدك العقد الذي
ما ازدان جيد الدهر منه بأثمنا

أعزز عليّ بأن أقول مؤرخاً:
(في مضجع دفنوا الهدى والمحسنا)
١٣٩٠هـ

وقد رثى الشاعر الدكتور محمد حسين الصغير الإمام الحكيم قدس سره في أربعينيته بمرثية غاية في التأثير نذكر منها[١٠]:

علمٌ هوى فتضعضع الإسلام
وأنهار للبيت الحرام دعام
وترنحت بك للنبي رسالة
وتعطلت لشريعة أحكام
وتساءل المتحيرون أمرسلٌ
في النعش، أم فوق الرؤوس إمام
هذا (الحكيم) أم السماء تكورت
والأرض مادت، فالنجوم سهام
قد أخرس الخطب البليغ مقاولاً
وتكلم الفأفاء والتمتام
وتدافع المتجمهرون يهزهم
قدرٌ، وملء أنوفهم إرغام
وإذا بنعشك بينهم وكأنه
يوم القيامة للحساب يقام
مدوا له الأيدي طوالاً مدّها
لك بالصلات فأمطروا وأساموا
ولهم دويٌ حوله كدويهم
بك للصلاة فكبروا وأقاموا
فكأنه نعش الحسين بكربلا
ولنا قعودٌ عنده وقيام

الموقف الأول: رحلة السيد الاحتجاجية

ما أن تسلم البعثيون مقاليد الحكم في العراق حتى بدؤوا يشغلون الشعب بفتن لا أول لها ولا آخر وكان هاجس ضرب المرجعية الدينية لا يبارح اجتماعاتهم وتخطيطهم الفكري، لأن المرجعية ـ كما هي الآن ـ صمام الأمان وطالما وجدت ممثلة برجالها المخلصين فهذا

يعني أن التحرك البعثي لشق الصف وزرع الفتنة غير ممكن، وعندما أدرك السيد الحكيم ما يخطط اتخذ سياسة المواجهة السلمية طريقاً لتعريف الحكومة بمطالب المرجعية خصوصاً والشعب عموماً فكانت أهم تلك المطالب (النظر في مناهج التعليم، وقضايا الأوقاف، وتطبيق العدالة الاجتماعية، والاحتكام إلى الإسلام عند الخلاف، ومشاركة أجهزة الإعلام في نقل النشاط الإسلامي والمرجعي للجماهير)[11]، فكانت استجابة الحكومة آنذاك استجابة شكلية حيث تشكلت لجنة ضمت كل من سماحة الشهيد السعيد السيد مهدي الحكيم نجل السيد الحكيم، والشيخ علي الصغير (السيد مرتضى العسكري)[12] ممثلين عن المرجعية ، إضافة لممثل من قبل الحكومة، إلا أن ممثلي المرجعية عادا ليخبرا السيد (أن المواعيد كاذبة، وأن الأجواء ملتهبة، وأن الاعتقالات قائمة على قدم وساق ولاسيما في رؤساء العشائر الموالية للمرجعية، ولشباب العراق بحجتي الشيوعية والشعوبية، ولهذا وغيره فقد أعلن ـ السيد الحكيم ـ سخطه على النظام عملياً وقرر السفر إلى بغداد وسامراء محتجاً)[13].

أفردت مجلة الإيمان الصادرة آنذاك على صفحات العدد الثالث/ الرابع منها والصادر في رجب/ شعبان ١٣٨٣هـ المصادف كانون الأول/ كانون الثاني (١٩٦٣م ـ ١٩٦٤م)، سبعين صفحة عن رحلة السيد الحكيم جاء في مقدمتها:(في زحمة الأيام وفي خضم الساعات الحرجة، وفي ظلمة الليل الحزين كانت سحابة دكناء تضلل سماء العراق الحبيب المسلم، وفي وسط ذلك الرهج العاوي تحرك موكب سماحة سيدنا المجاهد آية الله العظمى السيد محسن الحكيم دام ظله نحو زيارة أجداده الطاهرين في العتبات المقدسة ليجدد بهم عهداً ويعاهدهم على محاربة قوى الظلم والكفر والضلال بكل أنواعها، ويستمد منهم العون في جهاده ونهضته الإصلاحية، وإزاحة تلك السحب الجاثمة على صدر هذا الوطن المسلم).

أما الأستاذ حامد البياتي فيقول: (...وإذ يطل عام ١٩٦٣ يحدث انقلاب ٨ شباط ويعيش الشعب المسلم في العراق نمطاً آخر من أنماط القهر والاضطهاد على أيدي البعثيين، ويدرك الإمام الحكيم حجم الهجمة الشرسة على الإسلام من قبل البعثيين، فيقوم بسفرته التاريخية السياسية إلى العتبات المقدسة وليعبر بها عن احتجاجه على إجراءات السلطة، ولتعبر الجماهير عن تلاحمها مع المرجعية من خلال تقاطر الوفود والاجتماعات والاستقبالات والزيارات التي قامت بها للإمام الحكيم، ولتعبر كذلك عن موقفها من الإسلام... وما أن رجع الإمام الحكيم من سفرته تلك حتى انهار حكم البعث وبدأت الخلافات تحت ضغط الجماهير تنمو مما أدى إلى سقوط الحكم في تشرين الثاني عام ١٩٦٣م بمبادرة أخرى من الاستعمار لامتصاص النقمة ليطل على العراق حكم فاسد آخر إذ كانت الطائفية تضرب بأطنابها من الشمال إلى الجنوب وذلك تنفيذاً لمخطط استعماري رهيب لمواجهة المرجعية الدينية التي أخذت تحظى بحب واحترام جميع المسلمين من السنة والشيعة)[14].

في حين يرى طالب الشبيب (وهو

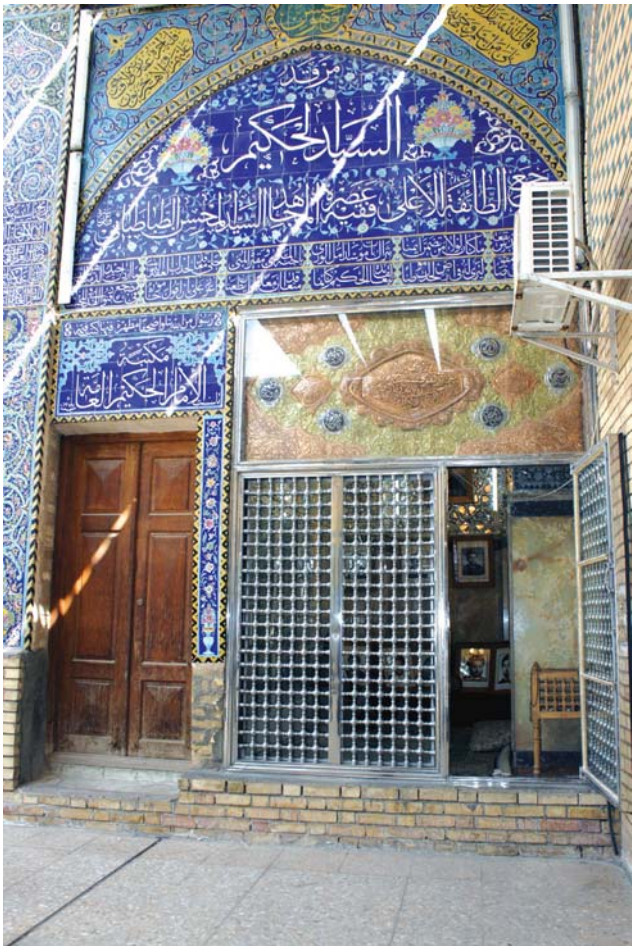

أحد البعثيين آنذاك): (إن أهم مسألة أثارت الخلاف بيننا وبين السيد الحكيم رحمه الله وخلقت فجوة كبيرة في موقفه من سلطتنا كانت هي أخبار المظالم والتجاوزات التي ارتكبتها بعض أجهزتنا وتصله باستمرار، ثم يضيف.. وكان من عادة السيد الحكيم إذا أراد أن يعبّر عن غضبه وعدم رضاه، الاحتجاب عن لقاء ممثلي السلطة أو السفر إلى مكان آخر تعبيراً عن الاحتجاج واستعراضاً لقوة المرجعية التي ستبرز من خلال احتفالات التوديع والاستقبال والمواكبة، ثم يضيف: والآن فأنا أدرك كم كان السيد الحكيم رحمه الله ناصحاً في أمور جوهرية وحساسة)[١٥].

(ابتدأت رحلة السيد في ٢٩- جمادي الأولى - ١٣٨٣هـ الموافق ١٧ - تشرين الأول - ١٩٦٣م وقد سار قدس سره بموكبه قاصداً كربلاء المقدسة التي قضى فيها ليلته ثم اتجه الموكب نحو الكاظمية وكلما مر الموكب بمدينة من المدن كالمسيب والمحمودية يحتشد المسلمون على الطرق للسلام على السيد وتأييده وتجديد البيعة بالمضي معه في الطريق الذي يرتئيه وما أن وصل الموكب مدينة الكاظمية حتى اتجه سيدنا الحكيم إلى دار الوجيه الحاج عباس الحاج سلمان فكانت داره العامرة قد فتحت أبوابها مرحبة بضيفها الكبير وبالوافدين عليه من كل حدب وصوب بلغ عدد الوفود التي تقاطرت على محل إقامة السيد الحكيم تارة وأخرى في صحن الإمامين الكاظميين - اثنين وعشرين وفداً - عند ذهابه وإيابه من سامراء إلى بغداد وكان أهمها وفد جامع براثا حيث ارتجل الأستاذ الدكتور محمد حسين الصغير كلمة قال فيها: (وفي الوقت الذي نحيي سماحة الإمام الأكبر الحكيم فإنا نبايعه على الموت حتى آخر قطرة من دمائنا نبايعه من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض ولو أدى ذلك إلى التضحية والفداء)، ثم تقدم شيخ الخطباء الشيخ محمد علي اليعقوبي فاختتم الحفل بكلمة مسهبة تحدث فيها

عن حياة سيدنا الحكيم وموقفه الجهادي في ثورة العشرين والثورات الأخيرة.

هذا وقد عبّر الشعراء بكلماتهم عن موقفهم المؤيد للمرجعية وكان من أبرزهم الأستاذ الدكتور محمد حسين الصغير والسيد طاهر الموسوي والشيخ موسى السوداني والسيد مرتضى الحيدري والسيد عبد الرسول الكفائي والشيخ الخطيب هادي الكربلائي والسيد عبد الرسول علي خان والشيخ علي الدجيلي والأستاذ محمد جواد الغبان والأستاذ صادق اليعقوبي والأستاذ فرهود مكي الحلي.

ومما قاله الأستاذ صادق اليعقوبي:

بك استنصر الدين الحنيف على العدا
فكنت له عضباً عليهم مجرداً
وفوقت من قوس الشريعة نحوهم
بكفك سهماً لا يزال مسددا
وشيدت أركان الهداية والنهى
وجردت ضد الكفر والبغي مذودا

أما الشيخ محمد حسين الصغير فقال:

سر في الجهاد فما برحت موفقاً
سيفان في يدك: العقيدة والتقى
سر في جهادك فالحياة ذميمة
إن لم تقم حقاً وتقحم مأزقا
سر في جهادك فالعقيدة لم تزل
فكراً مقدسة ومجداً معرقا
سر في جهادك فالجموع بحاجة
للدين والإسلام أن يتطبقا

ثم توجه السيد إلى سامراء ماراً بناحية الدجيل ثم ناحية بلد ليصل إلى سامراء حيث كان في استقباله أعيان سامراء وسادن الروضة العسكرية، مكث السيد في سامراء عشرة أيام استقبل خلالها الوفود، كوفد الموصل وتلعفر وطوزخرماتو وكركوك والتسعين، إضافة لوفود الوسط والجنوب بدأ بوفد الحلة والخالص والكوت مروراً بغماس والرميثة والناصرية والعمارة (ويمكن أن يقال: إن سامراء لم تشهد زحفاً دينياً مسلماً من بدء الحكم الوطني حتى الآن كما شاهدته في أيام مكوث سيدنا الإمام فيها)[١٦].

ثم عاد قدس سره إلى بغداد ماراً بمرقد السيد محمد بن الإمام علي الهادي عليهما السلام حيث صلى في المرقد ثم اتجه إلى المسيب وكربلاء والهندية والحلة ليصل إلى النجف الأشرف في ٨ - ١١ - ١٩٦٣)[١٧] وقد استغرقت السفرة ما يقارب ٢٢ يوماً، وقد كان ذلك التحرك المبارك (يستدعي انتباه السلطة لأنه يكشف عن قوة المرجعية والحركة الإسلامية وهيبتها لهذا حاولت السلطة انتهاج أسلوب خاص يعتمد التقرب والترغيب من أجل تجنب الصراع الواسع مع الإسلاميين)[١٨].

الموقف الثاني: إرادته السامية في صنع ضريح أبي الفضل العباس[٤]

يذكر السيد أحمد الحسيني الأشكوري قصة[١٩] استقاها من جريدة (سرفراز) الهندية العدد (٣١ ج٤١) يوم الخميس ٩/ كانون الأول/ ١٩٦٤م تبين موقف السيد قدس سره الحازم من نصب الضريح المبارك على قبر أبي الفضل العباس عليه السلام ومفادها (أعلنت البهرة - الطائفة الإسماعيلية التي تقطن الهند - قبل ثمانية عشرة سنة عن أنها تنوي صنع ضريح لمرقد أبي الفضل العباس عليه السلام من الذهب والفضة، وجمعت النقود من باكستان والهند وأفريقيا لهذا الغرض،

وقد تمّ صنع الضريح بعد هذه المدة الطويلة ولكن بصورة ناقصة، لأنه كان أصغر من الصندوق التاريخي الثمين الموجود على القبر الشريف، بحيث لم يكن هناك مجال للدخول بين الضريح (الشباك الجديد) والصندوق للتنظيف والكنس والشؤون الأخرى.

كانت البهرة مصرّة على نصب هذا الضريح كيفما اتفق فوزعت ألف دينار على المعنيين بشؤون الحرم الشريف وأخذت الموافقة من السادن على ما قصدت من تصغير ونصب الضريح على القبر ثم طلبت من إيران فناناً ليقوم بعملية تصغير الصندوق فرفض الفنان أشد الرفض مبيناً أن قيمة هذا الصندوق تربو على قيمة الضريح بمائة مرة بل أكثر.

وقف آية الله العظمى السيد الحكيم على هذه القضية فأرسل فوراً نجله السيد مهدي الحكيم وصهره السيد إبراهيم الطباطبائي، فاجتمع السيدان مع سادن الروضة العباسية ووكيل البهرة آنذاك (الشيخ إبراهيم)، وأوضح السيد مهدي رأي والده السيد الحكيم في عدم إمكانية نحت الصندوق ونصب الضريح، وقال: يرى الوالد أن الحل يكمن في تبديل الضريح بآخر أكبر منه كما يرى وجوب إرجاع الضريح السابق إلى مكانه لفسح المجال للزائرين حتى يتم تكبير الضريح الجديد، رفض وكيل البهرة وقال إن توسعة الضريح وتكبيره لا يمكننا قبوله ولابد من نصب الضريح ولو أدى ذلك إلى تصغير الصندوق أو تبديله بصندوق آخر وعندها حان وقت زيارة النصف من رجب وذهب الإمام الحكيم للزيارة إلى كربلاء فقصد فور وصوله زيارة الحرم الشريف وأمر السادن أن يفتح له أبواب حرم أبي الفضل العباس عليه السلام، فامتثل السادن الأمر وفتح الأبواب فدخل السيد وبصحبته جمع كثير من العلماء وطلبة العلوم الدينية في الحرم فرأى الصندوق مرفوعاً من على القبر وأصبح منظر الحرم الشريف كقبر أئمة البقيع في المدينة المنورة.

إضافة إلى ما وجده من المخلفات وعبوات المشروبات الغازية وغيرها.

أثّر هذا المنظر المؤلم في نفس الإمام الحكيم أثراً بالغاً وأمر بوضع الصندوق القديم على القبر فوراً وإرجاع الصندوق إلى مكانه وبعد أن تم نصب الصندوق أمر السيد بإرجاع الضريح السابق إلى محله كما كان حتى يتم تكبير الضريح الجديد.

اعتذر وكيل البهرة عن عدم استطاعتهم صنع ضريح جديد وحبّذ نصب الضريح وتصغير الصندوق، فقال الإمام الحكيم كلمته الفاصلة: (إذا كان الأمر كما تقولون فنحن نستغني عن ضريحكم ونأمر بصنع ضريح آخر في إيران أحسن من الضريح الذي أتيتم به، إنكم قد أهنتم القبر الشريف ولم تسمعوا منّا الكلام).

وعندها بدأت محاولات الاعتذار من السيد بداية من وكيل البهرة ثم وصل أخو طاهر سيف الدين ـ زعيم البهرة ـ وطلب مقابلة السيد إلا أن السيد لم يقابله احتجاجاً على إصرارهم، ثم أمر السيد المهندسين بتخطيط خرائط للحرم حتى يصنع عليها ضريح جديد فتمت الخرائط في يوم ٢٥ رجب وذهب صهره السيد إبراهيم الطباطبائي إلى إصفهان للاتفاق على صنع الضريح وقد تكفل السيد جميع المصارف التي تتعلق بالضريح كما سمح قدس سره حينها للمحسنين أن يشتركوا في تشييد

الضريح المقدس وكان في ليلة النصف من رمضان عام ١٩٦٤م/ ١٣٨٣هـ والى يومنا هذا بقي هذا الضريح شاخصاً حيث تهفو إليه النفوس والقلوب.

وقد أشار الشعراء إلى هذا الضريح ومنهم الخطيب السيد جواد شبر حيث قال[٢٠]:

أيها السيد الحكيم أصغ لي
أنت مني بمسمع وبمشهد
لأبي الفضل قد رفعت مناراً
بضريح يشع نوراً كفرقد
وبه قد سررت كل محب
وامت العدى وارغمت حسد
أفيبقى قبر الزكي معفى؟!
موطئ العابرين غير مشيد

أما الشاعر عبد المنعم الفرطوسي فقد أرخ عام نصب الضريح بقوله[٢١]:

ضريحك دون علاه الضراح
وأنه به القمر الأعظم
تصاغ شبابيكه باللجبين
وبالتبر جبهته ترقم
ومن عسجد خالص فوقها
قناديل أركانه تنظم
يموج فتحسبه لجةً
قواريرها بالسنا تسجم
تبرع في صنعه محسنٌ
حكيمٌ به الدين يستحكم
وشيّد مستبقاً غيره
إلى الخير يغنم ما يغنم
ضريحاً أبا الفضل أرخ: (به
تشع على القمر الأنجم)
١٣٨٣هـ

وخلال الحفل الذي عقد بمناسبة نصب الضريح الجديد وقف السيد مهدي نجل الإمام الحكيم ﷺ قائلاً: (لقد أمر سيدي الوالد بإنشاء ضريح جديد لمرقد سيدنا العباس منذ أكثر من سنتين، فجرى العمل فيه في مدينة أصفهان، وقد صنع من الذهب والفضة، وهو مطعم بالمينا، وقد صرف عليه لحد الآن (١٢٥،٠٠٠) مثقالاً من الذهب، و(٤٠٠) مثقالاً من الفضة، كما أن هناك باباً ذهبيةً صنعت خصيصاً لمرقد سيدنا العباس)[٢٢].

وأجد من الغريب أن يؤرخ لنصب الضريح ما ذكره السيد سلمان هادي آل طعمة قائلاً: (ونصب الضريح في ١٢ رمضان ١٣٨٥هـ المصادف ٢ كانون الثاني ١٩٦٦م) مستنداً لما قاله الخطيب السيد علي الهاشمي:

إن جئت لمرقد المواسي
من كان لهاشم صريحه
قف عند ضريحه وأرخ:
لله منور ضريحه
١٣٨٥هـ

وكما قال:

طوبى لسامي بقعة قدسية
جعلت هدى ومثابة للناس
شاد (الحكيم) ضريحها ذهبية
شرفاتها فضية الآساس
ولطالب الحاجات قال مؤرخاً:
يمم فهذا مرقد العباس
١٣٨٥هـ

هذه حياة العظماء، حافلة بالمواقف المشرفة، خالدة ومحفورة في ذاكرة الإسلام والتاريخ ■

---

(١) أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف، الدكتور محمد حسين الصغير، ص٨٧.
(٢) مقدمة دليل الناسك، السيد محمد باقر الحكيم، ص٢٦.
(٣) أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف، الدكتور محمد حسين الصغير، ص٨٦،

جانب من تشييع جثمان الإمام الحكيم قدس سره في بغداد

ومن شاء المزيد من الاطلاع فليراجع مقدمة كتاب الإمام الحكيم للسيد أحمد الحسيني.

(٤) مقدمة دليل الناسك، السيد محمد باقر الحكيم، ص١٢.

(٥) أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف، الدكتور محمد حسين الصغير، ص١٣١.

(٦) الإمام المجاهد السيد محسن الحكيم، ص٩.

(٧) أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف، الدكتور محمد حسين الصغير، ص١٢٥.

(٨) المصدر السابق، ص١٣٠.

(٩) الأبيات مخطوطة على واجهة مقبرة السيد الحكيم، التي تقع على يمين الداخل لمسجد الهندي من جهة شارع الرسول في النجف الأشرف.

(١٠) أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف، الدكتور محمد حسين الصغير، ص١٦٦.

(١١) المصدر السابق، ص١٤٤.

(١٢) سنوات الجمر، علي المؤمن، ص٦٩.

(١٣) أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف، الدكتور محمد حسين الصغير، ص١٢٥.

(١٤) ربع قرن مع شهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم، ص٥٤-٥٥.

(١٥) عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم، مراجعة في مذكرات طالب الشبيب، د. علي كريم سعيد، ص٣١١-٣١٣.

(١٦) سنوات الجمر، علي المؤمن، ص٧٠.

(١٧) اختصرنا ـ بتصرف ـ من مجلة الإيمان، عدد خاص عن رحلة السيد قدس سره.

(١٨) سنوات الجمر، علي المؤمن، ص٧٠.

(١٩) الإمام الحكيم، ص١٤٨.

(٢٠) ديوان السيد جواد شبر، ص١٤٩، كما توجد قصيدة كاملة بمناسبة نصب الضريح، ص١٠١.

(٢١) ديوان الشيخ عبد المنعم الفرطوسي، ص٥٨.

(٢٢) تاريخ مرقد الحسين والعباس، سلمان هادي آل طعمة ص٢٦٩.

الشيخ صالح الكوّاز
١٨١٧-١٨٧٣م

خليل إبراهيم المشايخي •
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
الروضة الحيدرية المقدسة

تمهيد

هو أبو المهدي صالح بن حمزة الشهير الكوّاز، عربي المحتد يرجع أصله إلى قبيلة (الخضيرات) إحدى عشائر شمر المعروفة في نجد والعراق[١].

ولادته ونشأته

ولد في مدينة الحلة الفيحاء سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٧م، في إحدى محلاتها القديمة العريقة وهي محلة (التعيس) التي مازالت عامرة بأهلها، وكان الشيخ رحمه الله يقيم الجماعة في واحد من مساجد محلة (الجباويين) بالقرب من مرقد العلامة طيب الله ثراه (أبي الفضائل ابن طاووس) وكان موضع احترام الناس وثقتهم[٢].

كان والده الشيخ حمزة يبيع أباريق الفخار والجرار وغيرها من الأواني الفخارية والخزفية، فأخذ هذه المهنة عن والده هو وأخوه الأصغر منه الشيخ (حمادي)[٣]، وراحت هذه العائلة تتناقل هذه المهنة حتى نهاية القرن الماضي.

وكان أخوه (الشيخ) حمادي شاعراً فذاً على الرغم من كونه أمياً، فكان ينظم الشعر نحتاً من قلبه[٤]، فجاء شعره متميزاً برقته وانسجام تراكيبه وبحلته البديعية النفسية[٥]، قال في طفل له توفي

ودفن في (مشهد الشمس) مقام الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي ردت له فيه الشمس بعد رجوعه من احدى معاركه مع جيشه[٦]:

ليهن محاني مشهد الشمس أنه
ثوى بدر أنسي عنده بثرى القبر
وكان قديماً مشهد الشمس وحدها
فأضحى حديثاً مشهد الشمس والبدر[٧]

ويختلف الشيخ صالح عن أخيه في كونه لم يكن أمياً فقد درس النحو والصرف وعلم المعاني والبيان والمنطق على جماعة من أفاضل أهل الحلة[٨].

ولد الشيخ فقيراً وعاش ومات فقيراً على الرغم من أنه كان من خيرة شعراء العراق البارزين في القرن التاسع عشر، لأنه لم يتكسب بشعره، ولم يجعله وسيلة للارتزاق لأنه (يأنف من التكسب بالشعر كل الأنفة ويترفع عنه كل الترفع فلا يمدح إلا تقديراً للعلم وتكريماً للفضل والأدب وتوثيقاً لعرى الولاء والصداقة)[٩].

ويمكن أن نستدل على ذلك مما رواه عنه الشيخ علي عوض الأديب والشاعر الذي عاصره وكتب سيرة حياته وأرسلها إلى الشيخ علي كاشف الغطاء ليجعلها ضمن كتابه الشهير (الحصون المنيعة)[١٠].

وملخص الحكاية: أنه طلب إليه واحد من ذوي الجاه والسلطة الرسمية في الحلة أن ينظم له أبياتاً في رثاء أبيه، يؤرخ فيها عام وفاته لتنقش على صخرة تبنى على ضريحه في مقبرة (مشهد الشمس) وبذل له على ذلك بتوسط أحد أصدقائه ما يقارب (٤٠) ليرة عثمانية

(وكان مبلغاً لا يستهان به يوم ذاك)، فامتنع وأبى مع شدة حاجته وعظيم فاقته)[11].

لم يثنه كبر سنه عن مواصلة تعليمه والتزود بالعلم والمعرفة، فكان يظهر ذلك في بعض أشعاره من ذلك قوله في النحو:

شاركتها بعموم الجنس وافترقت
عنهن فيما يخص النوع من نسب

من نوادر ما يحكى عن ثقافته النحوية وشاعريته:

١ـ خطأه أحد النحاة ذات يوم في شيء مما قاله في شعره، فقال له الشيخ: لا أستطيع أن أناقشك فيما تقول، ولكن ارجع إلى كتابك ستجد أنك على خطأ وإني على صواب، وبعدها تأكد للنحوي صحة رأي الشيخ صالح عند مراجعته إلى مصادره المعتمدة واعترف بصحة ما قاله الشيخ[13].

٢ـ ومن نوادره: أنه كان جالساً في نادي أحد زعماء (الشمرت) من الذين نفتهم الحكومة التركية من النجف إلى الحلة في سنة (١٢٨٥هـ) بعد مقتل (السيد رضا الرفيعي)[14]، واتفق قدوم الشاعر عبد الغفار الأخرس البغدادي إلى الحلة وحضوره إلى النادي، وما أن دخل حتى قال لصاحب النادي: أرني كوازكم الذي يقول:

أخرست أخرس بغداد وناطقها
وما تركت (لباقي) الشعر من باقي

(وهنا تعرض للأخرس وللشاعر عبد الباقي العمري...).

فقال له صاحبه ها هو ذا جليسك، فلما رأى هيأته أصغره وأعرض عنه، فقال له صاحبه: المرء مخبوء تحت طي لسانه لا طيلسانه!... فانبرى الشيخ صالح قائلاً:

فلو أن لبسي قدر نفسي لأصبحت
تحاك ثيابي من جناح الملائك
ولو كان فيما أستحق مجالسي
نصبن على هام السماك أرائكي

٣ـ ومن نوادره أيضاً: أنه ذهب إلى بغداد وقصد دار عبد الباقي العمري الشاعر المعروف صاحب القصائد الخالدات في حق أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يجده في داره وإنما وجده في مكان آخر مشرف على نهر دجلة ولم يكن برفقته إلا شاب وسيم ساق اسمه (مالك)، فلم يرحب به العمري الترحيب اللائق لأنه كان رث الثياب غير معتن بمظهره كما هو معروف عنه كما أنه لا يعرفه مسبقاً... ثم طلب عبد الباقي ماءً فأتاه (مالك) بإناء من بلور فيه ماء دجلة، فقال العمري ارتجالاً:

وناديم قلت ما الاسـ
ـم؟ اجبني قال: مالك

وراح العمري يردده حتى ظهر عجزه عن اكماله، فبادر الشيخ صالح قائلاً وعلى الروي نفسه:

قلت صف لي حسنك الزا
هي وصف لي اعتدالك
قال كالبدر وكالغصـ
ـن وما أشبه ذلك

فقام إليه العمري وعانقه وقال له أشهد أنك الكواز ورحب به واعتذر منه[16].

ديوانه

جمع الشيخ صالح المختار من شعره وشعر أخيه الشيخ حمادي في ديوان سماه (الفرقدان) لكنه فقد بعد وفاته، وقيل أن ولده عبد الله جمع مختارات من شعر

والده في ديوان، وفقد أيضاً...

وقد استطاع الأديب الباحث الشيخ محمد علي اليعقوبي رحمه الله جمع ما تيسر جمعه من بقية شعر صالح الكواز من المصادر والمجاميع المخطوطة، فأصبح ما جمعه من ذلك ديواناً لا يقل عن ألفي بيت...[١٧].

ما قيل فيه وفي شعره

١ـ قال الشاعر السيد حيدر الحلي: كان الشيخ صالح الكواز (أطول الشعراء باعاً في الشعر وأثقبهم فكراً في انتقاد لآلي النظم والنثر...)[١٨]. ونستشف من هذا القول أن الشيخ لم يكن شاعراً فحسب بل كان معروفاً بحسه النقدي وآرائه النقدية المتميزة، حتى عد من نقاد عصره في مجال الأدب والشعر.

٢ـ وقال عنه شاعر كربلاء الحاج (جواد بذقت) وكان معاصراً له حينما سئل عن أشعر من رثى الحسين عليه السلام فقال أشعرهم من شبه الحسين عليه السلام بنبيين من أولي العزم في بيت واحد، فقال:

كأن جسمك موسى مذ هوى صعقاً
وأن رأسك روح الله مذ رفعا[١٩]

٣ـ وقال عنه الدكتور (محمد مهدي البصير): (أنه جمع نفاذ البصيرة إلى جودة السليقة، وعمق التفكير إلى صفاء الفطرة)[٢٠].

وقال في موضع آخر: (يمتاز الشيخ صالح بدقة التفكير وطرافة النكتة وحسن التلميح إلى الوقائع التاريخية في شعره. أما أسلوبه فعلى جانب كبير من البراعة لفظ مختار وسبك محكم وتسلسل دقيق في المقاصد والأفكار)[٢١].

٤ـ وقال عنه الشيخ محمد علي اليعقوبي: (يكاد يكون أمة وحده في الشعر القصصي ـ كل ذلك مع رصانة في التركيب ورقة في الألفاظ ودقة في المعاني وإبداع في التصوير... ولو أن قصائده في أهل البيت خاصة [كذا] شرحت شرحاً وجيزاً غير مطول لكانت وحدها مجلداً ضخماً من أنفس كتب الأدب وأوعى كتب التاريخ...)[٢٢].

٥ـ وقال الشيخ يوسف كركوش في شعره: (يتسم شعره برصانة التركيب وعذوبة الألفاظ، ودقة المعاني، والإبداع في التصوير هذا إلى جانب تلويحه أو تصريحه إلى عبر تاريخية أو قصص نبوية أو أمثال سائرة أو اصطلاحات علمية يربطها بالغرض المقصود له ربطاً محكماً يدل على قوة ملاحظة وسعة خيال...)[٢٣].

نماذج من شعره

مما قاله في رثاء سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام:

باسم الحسين دعا نعاء نعاء
فنعى الحياة لسائر الأحياء
وقضى الهلاك على النفوس وإنما
بقيت ليبقى الحزن في الأحشاء
يوماً به الأحزان مازجت الحشى
مثل امتزاج الماء بالصهواء
لم أنس إذ ترك المدينة وارداً
لا ماء مدين بل نجيع دماء
قد كان موسى والمنية إذ دنت
جاءته ماشية على استحياء
وله تجلى الله جل جلاله
من طور وادي الطف لا سيناء[٢٤]

وله في مدح آل البيت عليهم السلام قصيدة بديعة منها قوله:

نبذتهم الهيجاء فوق تلاعها
كالنون ينبذ في العرا (ذا النون)
فتخال كلاً ثم (يونس) فوقه
شجر القنا بدلاً عن (اليقطين)[٢٦]

ومن فصاحته وجودة تركيبه قوله:

حباني بأنواع الشراب تكرماً
فوالله ما أثرت خمراً على اللمى
وما الخمر إلا مقلتاه وريقه
أعند وجود الماء أبغي التيمما[٢٧]

ومن براعة تصويره قوله:

وربت ظبية من آل موسى
أرتنا باللحاظ عصا أبيها
وغرتها تفوق سنا الدراري
كأن يمينه البيضاء فيها[٢٨]

وفـــاته

وافاه الأجل سنة (١٢٩٠هـ/١٨٧٣م)، وحمل جثمانه إلى النجف الأشرف، ودفن في وادي السلام.

رثاه زميله الشاعر السيد حيدر الحلي بقصيدة مطلعها:

كل يوم يسومني الدهر ثكلا
ويريني الخطوب شكلاً فشكلا

ومنها:

قد لعمري أفنيت عمرك نسكا
وشحنت الزمان فرضاً ونفلا
وطويت الزمان صبراً عليها
فتساوت عليك حزناً وسهلا[٢٩]

ورثاه أيضاً الشاعر محمد الملا بقصيدة منها:

قالوا: تعز، فقلت: أين عزائي
والبين أصمى سهمه أحشائي؟!
أودى أبو المهدي فانبعثت به
منا الدموع مشوبة بدماء[٣٠] ■

---

(١) البابليات، محمد علي اليعقوبي، ٨٧/١.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) نهضة العراق الأدبية، د. محمد مهدي البصير، ص٣٩٣.
(٤) البابليات، ٨٧/١.
(٥) سوانح، د. محمد مهدي البصير، ٤٦/١.
(٦) فقهاء الفيحاء، السيد هادي كمال الدين، صفحات متفرقة.
(٧) تاريخ الحلة، الشيخ يوسف كركوش، ١٦٧/٢.
(٨) تاريخ الحلة، ١٦٧/٢.
(٩) نهضة العراق الأدبية، ص٣٩٣.
(١٠) شعراء الحلة السيفية، عبد الرضا عوض، ص٥٨.
(١٠) البابليات، ص٩٠.
(١١) المصدر نفسه، ص٩١.
(١٢) تاريخ الحلة، ١٦٨/٢.
(١٣) البابليات، ٩١/١.
(١٤) المصدر نفسه.
(١٥) تاريخ الحلة، ١٦٩/٢.
(١٦) البابليات، ٩٢/١.
(١٧) دمية القصر، السيد حيدر الحلي، ص١٤٠.
(١٨) البابليات: ٩٢/١.
(١٩) السوانح، ٤٤/١.
(٢٠) نهضة العراق الأدبية، ص٣٩٥.
(٢١) البابليات، ٩١/١.
(٢٢) تاريخ الحلة، ١٦٩/٢.
(٢٣) ديوان الشيخ صالح الكواز، تحقيق محمد علي اليعقوبي.
(٢٤) المصدر نفسه.
(٢٥) المصدر نفسه.
(٢٦) سوانح، ٤٥/١.
(٢٧) تاريخ الحلة، ١٦٩/٢.
(٢٨) البابليات، ٩٢/١.
(٢٩) تاريخ الحلة، ١٧٠/٢.
(٣٠) المصدر نفسه.

شـاكر هـادي شـكر

من روّاد تحقيق التراث الإسلامي

كاظم عبود الفتلاوي •
باحث ومحقق

ينابيع

لقد تميزت المدرسة العراقية في (تحقيق التراث) بمنهجية عالية متقنة وبـ(نمطية وسطية) تختلف عن المدارس التحقيقية الأخرى.

تمثل ذلك في أعمال روادها الأوائل والتي حازت إعجاباً منقطع النظير، ثم كانت منبعاً ثراً قصده عشاق علم التحقيق، فبدت تلك الآثار واللمسات واضحة على أعمال الجيل الذي تلاهم.

ولا أريد الإطالة بتوضيح معالم هذه (المدرسة) العتيدة، وإنما لأرصد ترجمة (رائد) من روادها المتميزين بقدرتهم على معرفة الأثر المخرج.

فمن بين أولئك الرواد لمع نجم الأستاذ شاكر هادي شكر في تحقيقه المتين كتاب (أنوار الربيع في علم البديع) للسيد علي خان المدني الشهير بـ(ابن معصوم) مما سما به إلى مصاف المحققين التراثيين المعروفين في العراق كالدكتور مصطفى جواد والشيخ محمد بهجت الأثري والشيخ محمد حسن آل ياسين والأستاذ هلال ناجي وغيرهم.

فقد استهواه الكتاب القيم ومؤلفه ذو العقلية الجبارة، والأسلوب الأخاذ، والأدب الجم، والعلم النافع، فأقدم على تحقيق بقية كتبه القيمة، وجعل الرجوع إلى الكتاب المذكور بمثابة (الأم) لباقي مؤلفات السيد.

المحقق

العلامة الجليل الأستاذ شاكر بن هادي آل شكر البغدادي (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م - ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ولد في بغداد في أسرة ملتزمة دينياً، تتلمذ على بعض الأساتذة - يومذاك - العلوم الأدبية كالنحو والبلاغة وعلوم الشريعة، ثم انصرف إلى العمل التجاري الحر.

عُيّن في سنة (١٣٥١هـ/١٩٣٠م) بوظيفة حكومية بمدينة (الرفاعي) واستمر عمله بها مدة طويلة، وتنقل من مدينة لأخرى حتى أحالته على التقاعد سنة (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، فتفرغ للبحث والتنقيب والتأليف والتحقيق، فأبدع في ذلك كله، تشهد له مؤلفاته وتحقيقاته بالقدرة والمهارة.

فقد صدر من قلمه كتاب (الحيوان في الأدب العربي) طبع بثلاثة أجزاء، وكتاب (أوليات الخلفاء الراشدين) مطبوع.

أما في مجال التحقيق فله اليد الطولى والخبرة التامة في تحقيق النصوص التراثية وإخراجها بالشكل المعروف الذي رفد به المكتبة العربية.

منهجه في التحقيق

لخصه في أول مقدمته على كتاب (سلوة الغريب) بقوله:

ولما لم أوفق إلى العثور على نسخة المؤلف أو نسخة مقروءة عليه، لم أشأ التوسع في الحصول على نسخ أخرى لا يجني المحقق منها غير التعجيز، وتضخيم الكتاب بكثرة الشروح لبيان ما فيها من تصحيفات وما يوجد بينها من اختلافات ومثل هذا العمل في الواقع إحصائي أكثر منه أدبي، ويكفي المحقق أن يطمئن إلى سلامة النص ويتثبت من صحة عمله.

وكلمة أخرى من مقدمته على كتاب (أنوار الربيع) حدد بخمس نقاط قوله:

١- صححت الأغلاط التي وقفت عليها مهما كان منشؤها، وأشرت إلى ذلك في الهامش.

٢- قابلت النصوص مع أصولها على قدر المتيسر - وأقصد بالأصول المصادر التي أقتبس المؤلف منها تلك النصوص - وأشرت إلى كل خلاف بينها في الهامش، أما إذا كان ما في الكتاب يخل بالمعنى من جراء تصحيف أو تحريف فإني أثبت مكانه الصحيح، وأشير إلى ذلك في الهامش أيضاً.

٣- قمت في بداية العمل بتفسير كل لفظة يفتقر إلى معرفتها المبتدؤن، ثم

عدلت عن ذلك وقصرت الأمر على تفسير الألفاظ التي ربما وقف عندها الكثير من القراء.

٤- ترجمت في بداية الأمر لكل شخص، وعرفت لكل كتاب، وكل موضع ورد ذكره في الكتاب.

ولما وجدت أن التراجم والتعريفات والشروح قد طغت على الكتاب طغياناً عظيماً بحيث أفقدته مزيته ألغيتها، واكتفيت بترجمة مختصرة لكل شخص استشهد المؤلف بشيء من شعره، وذكرت معظم المصادر التي ترجمت لذلك الشخص.

وكلما تكرر ذكر الشاعر وضعت نجمة بين قوسين هكذا (❖) بجانب اسمه إشارة إلى أنه قد مرت ترجمته.

٥- كنت إذا تعذرت عليّ معرفة الشاعر أما لقلة المصادر المتيسرة لديّ أو بسبب تصحيف اسمه أتوقف عن العمل، وأظل أبحث وأنقب عنه ولا أستأنف العمل إلا بعد العثور عليه.

ولما وجدت هذه الطريقة تكلفني وقتاً طويلاً جداً، وتوقف إنجاز ما تم من الكتاب وتهيئته للطبع، أرجأت بعض التراجم لإثباتها - إذا أمكن العثور عليها - في الأجزاء القادمة إن شاء الله تعالى.

وله في متابعة المصادر وتفتيشها نفس طويل دلت عليه كلمته في هامش (ج١ ص١٨٥)، فقد نسب السيد ابن معصوم بيتين من الشعر لكتاب (يتيمة الدهر) فقال المحقق: (لقد تصفحت كتاب يتيمة الدهر ورقة ورقة فلم أجد فيه أي ذكر لأبي الحسن بن أحمد بن رامين، كما لم أجد البيتين الذين ذكرهما المؤلف، ولا يستبعد أني أصبت بشرود الذهن أثناء التحري فخانني البصر).

وهذا من الأدب الرفيع والتواضع والتحري والدقة في النقل.

محققاته

طبعت كلها بجهد فردي أو مشترك مع غيره وهي:

١- أنوار الربيع في علم البديع للسيد علي خان المدني، بسبعة أجزاء السابع منها فهارس فنية.

٢- ديوان ابن معصوم علي خان المدني.

٣- ديوان الحاج عبد الحسين الأزري، بالاشتراك مع السيد مكي السيد جاسم.

٤- ديوان الحيص بيص سعد ابن الصيفي، بجزأين بالاشتراك مع السيد مكي السيد جاسم.

٥- ديوان السيد الحميري إسماعيل بن محمد.

٦- ديوان الشاب الظريف محمد بن سليمان.

٧- ديوان الشيخ كاظم الأزري، نشر في مجلة (المورد) ابتداءً من المجلد السابع العدد الثالث سنة (١٩٧٨م) وما بعده.

٨- ديوان عبد المحسن الصوري. بجزأين بالاشتراك مع السيد مكي السيد جاسم.

٩- سلوة الغريب وأسوة الأديب - رحلة - للسيد علي خان المدني، بجزأين.

١٠- ما لم ينشر من شعر الشاب الظريف، نشر بمجلة المورد في المجلدين الرابع والخامس والعدد الرابع لكل منهما ■

الدعـــاء..

ممارسة إنسانية أكدّها الإسلام

طالب علي الشرقي •

بدايـة كان الإنسان ولا يزال هو الأرقى بين المخلوقات على الأرض، بعقله وإدراكـه. إلا أنـه مخلوق ضعيف لا يقـوى على قهر الضواري والكواسـر ناهيـك عـن ظواهـر الطبيعـة المرعبـة كالعواصـف والأعاصيـر، والفيضانات والزلازل، والحرائـق والطواعين... وربما يتسلط عليه أصغر المخلوقات (الجراثيم) فتهد كيانه، وقد تودي بحياته.

وحيـن عـرف بعـض خفايـا الوجود، وأدرك آثـار الموجود بعقل وروية لجأ إلى جملـة من الكائنـات والظواهر الكونية يسـتعين بها، ظناً منـه أنها تحفظ له حياته وتصـون ممتلكاته، فعبدهـا، بأن أظهر لهـا التذلـل والتضـرع بدافـع الخوف من سـطوتها أو الطمع بخيرها، أو لاعتبارات أخـرى لها مبرراتها في فكـره وفطرته، فصـار ذا اعتقـاد روحـي، أو (دين) رتب عليه شـعائر وطقوسـاً يؤديها للرمز الذي يتعبـد له، ويتوجـه إليه بالدعاء والتوسـل في السـراء والضـراء، فيدعـوه لنصرته وحمايته. أو لجلب المنافع إليه. في الوقت الذي أخبرنا القرآن المجيد بأن اللّه تبارك وتعالـى لم يترك الإنسـان سـدى، فبعث الأنبياء والرسـل لهدايتـه وتعريفه بالخالق الواحد السـميع البصير، القادر على كل شـيء، والخالق لكل شيء، والذي وحده يسـتحق العبادة. فآمن بعض الناس وكفر

آخرون... وجعلوا لله أنداداً وخصوها بالخشوع والدعاء والنذور.

والبشر جميعاً أصحاب دعاء، وأدعيتهم تتفاوت بتفاوت أحوالهم. قال تعالى: (لاَ يَسْأَمُ الإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ)[1]. وقال تعالى: (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ)[2]. ثم لا يكون للأدعية حصرٌ ولا حدود، ولا ضابط، ولا أوقات معينة، فهي تدور مع حياتهم...

ونقل القرآن المجيد بعض أدعية الأنبياء والصالحين، سواء في الأزمات التي تمر بهم أو في شكرهم لله رب العالمين.

ولما بزغ فجر الإسلام، وأنزل الله تبارك وتعالى القرآن الكريم حث فيه على الدعاء. فقال سبحانه: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)[3].

والمسلمون يرون في الدعاء سبيلاً إلى الله جل جلاله ومتنفساً لما في صدورهم ونفوسهم، ينقلهم من عالم إلى آخر فتندمج أرواحهم ومشاعرهم في قدس المدعو لحظة المناجاة، وتحس النفوس بالخلاص من وطأة همها وقلقها فتطمئن وترتاح، وتشعر بالاقتراب من رَوح الله وغفرانه، فتتقوى بعد ضعف، وتترجى بعد يأس. قال تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)[4].

والإنسان عبر سني حياته مستهدف من نفسه ومحيطه، يتعرض للمخاطر والاخفاقات والأمراض، والمشاكل الاجتماعية والبيئية، ولا يأمن المفاجآت التي تفجعه بعزيز أو عمل أو مكسب. وهو في الأغلب أضعف من أن يسترجع المفقود أو يحافظ على الموجود، ولا يجد من يحقق مبتغاه، فلا يرى مناصاً من التوجه إلى الأقوى والأقدر الذي قال في كتابه العزيز: (وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ)[5].

وليس مستغرباً أن تجد من يرفع صوته بالدعاء ويبكي ويطيل التوسل ويتكلم بالمأثور والمرتجل، وربما بلغة العوام الدارجة، لأنه ذائب في عالم القدس الأعظم، في رحاب الله جل جلاله الذي كلما

طرقت على باب رحمته وغفرانه لا يردك خائباً، يفتح لك بما يحقق غرضك إن كنت قد حققت ما تستحق عليه فضله بصدق الإيمان وصفاء السريرة.

وفي الناس من يتساهلون بل يسهون عن التزاماتهم الدينية ويهملون أداء التكاليف الشرعية، فإذا واجهتهم معضلة ولم يقدروا على تذليلها بالمال والجاه والسلطة والحلول الدنيوية المتيسرة فإنهم - بوعي أو بلا وعي - يتوجهون إلى المدبر الأعظم الرحمن الرحيم، يبثونه شكواهم ويطلبون عونه ولطفه. وقد أشار القرآن المجيد إلى مثل هذا الوضع بقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ..)[٦] إنه تجسيد حي لمعنى الكفر ونكران الفضل.

إن الله سبحانه وتعالى أنعم على الإنسان بأن كشف له طريق الهداية فوضع الحدود وفرض الطاعات وأوضح الأوامر والنواهي، وقال سبحانه: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)[٧] وكان بمقدور الناس التوفيق بين الحقوق والواجبات، والحرص على التنزه من فعل الكبائر وتنفيذ الواجب من التكاليف الذي يضمن رجحان كفة الخير. ثم إن الله جل في علاه تكرم ويسر للناس طريق الاتصال برحمته بالدعاء والتوسل وإظهار العبودية لله الواحد القهار، ووعد بالاستجابة لمن أخلص النية في توجهه.

إن الحياة مليئة بالطيبين الخيرين الذين حظوا برضا الله وإحسانه، لنبل مقاصدهم وحسن أخلاقهم وجليل أعمالهم، كما أن كثيراً من المسلمين عرفوا بحسن إسلامهم وتمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، اتخذوا من الدعاء شعيرة مقدسة (فهم يتسورون بالدعاء ويستشفعون به ويتعبدون، وعندهم درر الدعاء في الصحيفة السجادية والإقبال للسيد ابن طاووس، وعدة الداعي لابن فهد، ومفتاح الفلاح للبهائي، والمصباح للكفعمي، ومفاتيح الجنان لعباس القمي، وغيرها)[٨].

إن أغلب نصوص الأدعية هي من المأثور عن أئمة أهل البيت عليهم السلام نصوص غنية بالمعارف والأخلاق والتقوى، وهم فرسان هذا الميدان بلا منازع.

على أننا يجب أن لا نغفل عن حقيقة الغاية من اهتمام الأئمة عليهم السلام بالدعاء، فهم إلى جانب كونهم بشراً مثلنا إلا أنهم محصنون بآية التطهير وبالعصمة الإلهية والإرادة المثالية التي جعلتهم قدوة حسنة لكل الناس. وجل همهم التوجيه والتربية السليمة، للحد من جبروت النفس الإنسانية الأمارة بالسوء والتي تميل نحو التعالي والغرور، وارتكاب المعاصي. إنهم يريدون لشيعتهم وللمسلمين كافة أن يصغوا إلى كلمة الحق، ويسيروا في الطريق الذي يخلصهم من سخط الله وعذاب الآخرة.

ومثل ذلك يفعل (نائب الإمام) في زمن الغيبة، ففي حديث عن آية الله العظمى السيد محمد مهدي الطباطبائي

بحر العلوم، قال نور الدين علي في سلسلة (لقاء الأبرار)[٩]: (امتنع السيد بحر العلوم فجأة عن التدريس وتمر الأيام، ويتقدم التلاميذ إلى الشيخ السلماسي[١٠] يطلبون منه الاستفسار، ويمتنع السيد عن الإجابة، ومرة أخرى يلح التلاميذ ويعتصم السيد بالصمت، ويزداد إلحاح الطلاب، فيتكلم السيد بحر العلوم قائلاً: (إني لأجوس أزقة المدينة فلا أسمع دعاءً ولا تضرعاً ولا مناجاة ترتفع من بيت أحدهم. أنا لن أدرس طلاباً كهؤلاء...).

ويتأثر الطلاب بشدة. وفي تلك الليلة تتصاعد تمتمات الدعاء وهمسات اللقاء مع الله رب العالمين. فيستأنف السيد بحر العلوم عطاءه الثر من جديد.

إن السيد محمد مهدي بحر العلوم من ألمع القيادات الدينية والمراجع العامة في مدينة النجف الأشرف في وقته، يمتنع عن تدريس أناس لا يهتمون بالدعاء، وهذا تطبيق عملي للحث على أداء الدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى وهكذا يكون الأب الروحي حين يتأخر أبناؤه عن أداء الواجب العقائدي.

إن شيعة أهل البيت عليهم السلام يعدون الدعاء من عقائدهم الأساسية. قال شيخنا المجتهد المجدد الشيخ محمد رضا المظفر[١١]: قال النبي صلى الله عليه وآله: (الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين ونور السماوات والأرض)، وكذلك هو أصبح من خصائص الشيعة التي امتازوا بها، وقد ألفوا في فضله وآدابه وفي الأدعية المأثورة عن آل البيت عليهم السلام ما يبلغ عشرات الكتب من مطولة ومختصرة... وجاء عنهم: (أفضل العبادة الدعاء) و(أحب الأعمال إلى الله عز وجل في الأرض الدعاء) و(إن الدعاء يرد القضاء والبلاء) و(إنه شفاء من كل داء).

وقال الشيخ المظفر أيضاً: إن الأدعية خير منهج للمسلم، تبعث في نفسه قوة الإيمان والعقيدة، وتعرفه سر العبادة ولذة مناجاة الله تعالى والانقطاع إليه. وفي الدعاء تخليص الإنسان من الحرج حين يريد الاعتراف بذنبه فيختلي بالله سبحانه ليقول ما يشق عليه قوله أمام الناس. فإذا تم ذلك فله شأن كبير في تخفيف غلواء نفسه الشريرة وترويضها على طلب الخير.

وعن الإمام الصادق عليه السلام بخصوص أهمية الدعاء ومنزلته في عقيدة المسلم، روي... عن سيف التمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عليكم بالدعاء فإنكم لا تقربون بمثله، ولا تتركوا صغيرة لصغرها أن تدعوا بها إن صاحب الصغار هو صاحب الكبار[١٢].

ومن مصادر الأدعية الذهبية (الصحيفة السجادية)[١٣] وهي مجموعة الأدعية المنسوبة إلى الإمام السجاد علي بن

الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام نذكر هذا النص:

(اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوامح العيون علانيتي وتقبح في خفيات القلوب سريرتي، اللهم فكما أسأت فأحسنت إليّ فإذا عدت فعد عليّ فاغمرني بطاعتك ولا تخزني بمعصيتك وارزقني مواساة من قترت عليه بما وسعت عليّ يا أرحم الراحمين. يا مفزعي إذا أعيتني الحيل يا من عفوه منتهى الأمل وفقني لخير القول والعمل...).

في هذا الجزء من دعاء الإمام زين العابدين السجاد عليه السلام تتضح أخلاقيات المؤمن التقي، وصفاء روحه. فهو لا يريد أن يكون في أعين الناس حسن الظاهر بينما يضمر له البعض سوء السريرة، ثم يريد من الآخرين التزام طاعة الله وتقواه وإن الله عفو رحيم يغفر الذنوب لمن تاب واستغفر. ويتمنى على الله أن تكون ثمة حصة لغيره مما يرفل هو به من نعم الله فلا تكون السعة عليه مقابل التقتير على غيره، ويرى راحته بالمواساة. ويريد تنبيه المؤمنين إلى أن ملجأهم إلى الله عند عجزهم وقلة حيلتهم وأن يطلبوا عفوه وغفرانه والتوفيق لخير القول والعمل.

درس نافع ملئ بالعظات والعبر والأخلاق المثالية الباهرة.

وفي (مفاتيح الجنان) عشرات النصوص التي تصلح لكل الأوقات وخاصة في شهر رمضان المبارك. وفي مقدمة هذا الكتاب يقول المعرب السيد محمد رضا النوري النجفي: الإسلام دين الإنسانية الخالد، يعالج بتشريعاته الحكيمة جميع شؤون الحياة ومشاكلها... وفي عصر الذرة والعلم - على ما يقولون - تستولي قوى الأنانية الشريرة المتصارعة على الصعيد الفردي والعالمي فتزيد الإنسانية قلقاً ووحشة، والصلوات والأدعية هي من أهم الوظائف الروحية الإسلامية، وهي سبل التوجه إلى الله وتوثيق الصلة به... وقادتنا الهداة المعصومون عليهم السلام قد تركوا لنا أضخم ثروة من الأدعية التي صبت في أبلغ القوالب وأفصحها[١٤].

ومن أدعية هذا الكتاب دعاء الافتتاح، الذي يقرأ في كل ليلة من ليالي شهر رمضان ويحفظه كثير من الناس عن ظهر قلب. ومنه: (اللّٰه إني أفتتح الثناء بحمدك وأنت مسدد للصواب بمنك، وأيقنت أنك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة... اللهم أذنت لي في دعائك ومسألتك فاسمع يا سميع مدحتي وأجب يا رحيم دعوتي وأقل يا غفور عثرتي...).

دعاء محيط بتمجيد الله تبارك وتعالى وتعظيمه وإظهار فضله. وهو مليء بالمطالب والأمنيات التي يريدها الإنسان في الدنيا والآخرة من الله دون غيره. وكاشف للهنات والسلبيات التي تمر على المسلم في حياته، فيرجو الله تعالى إقالة عثراته والإحسان إليه متوسلاً بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين من أهل بيته عليهم السلام. ولعذوبة ألفاظه وجميل بيانه لا يمله السامع، وينتظر الناس سماعه في كل ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك بل ويجتمعون لأجل ذلك.

ومن الأدعية المتميزة التي تحظى باهتمام المؤمنين (دعاء كميل بن زياد) الذي علمه إياه أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام. ومنه:

(اللهم إني أسألك برحمتك التي

وسعت كل شيء وبقوتك التي قهرت بها كل شيء وخضع لها كل شيء وذل لها كل شيء... اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم اللّه اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، اللّه اغفر لي الذنوب التي تغير النعم...)[١٥].

وهو دعاء طويل... دعاء أفرغ فيه المتوسل خلاصة ما تتمناه النفس الشريفة من الخير، ومن اعتراف بالأخطاء وطلب العفو والمغفرة من الرحمن الرحيم.

والأدعية كثيرة، وكلها غاية في البلاغة والفصاحة والتقوى وتهذيب النفس والاعتراف الكامل باللّه جل جلاله وبرسله ورسالاته والأولياء والصالحين من عباده. وإذا أخذنا من كل دعاء فقرة سيطول بنا المقام لذا نختم حديثنا بفقرات من الدعاء المنسوب إلى الإمام محمد بن الحسن الحجة المهدي عليه السلام، فقد روي عنه أنه قال:

(اللهم إن أطعتك فالمحمدة لك وإن عصيتك فالحجة لك. منك الروح ومنك الفرج سبحان من أنعم وشكر سبحان من قدر وغفر اللهم إن كنت قد عصيتك فإني قد أطعتك في أحب الأشياء وهو الإيمان بك لم أتخذ لك ولداً ولم أدع لك شريكاً مناً منك به عليّ لا مناً مني به عليك وقد عصيتك يا إلهي على غير وجه مكابرة ولا الخروج عن عبوديتك ولا الجحود لربوبيتك ولكن أطعت هواي وأزلني الشيطان فلك الحجة عليّ فإن تعذبني فبذنوبي غير ظالم وإن تغفر لي وترحمني فإنك جواد كريم...)[١٦].

أقول: هذا دعاء من يناجي اللّه تبارك وتعالى وكأنه يراه. إنه دعاء قدوة المؤمنين وخاتم الوصيين وثاني عشر أئمة المسلمين، الغائب المؤمل والعدل المنتظر، سمي رسول رب العالمين الحجة القائم الإمام محمد بن الحسن المهدي (عجل اللّه فرجه الشريف). ثمرة ناضجة من بستان العترة الطاهرة سقتها العناية الإلهية ورعتها الألطاف المحمدية وسهرت على كمالاتها الحكمة العلوية وأضاءت في نهج أئمة الهدى يرثها الخلف عن السلف. وليس أدل على ذلك من علو بيدر العطاء الذي تركوه لمحبيهم من كنوز الدعاء الغنية بالحكمة والموعظة والتربية القويمة على تعاليم الدين الحق[١٧] ■

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٩.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٥١.
(٣) سورة غافر، الآية: ٦٠.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.
(٦) سورة يونس، الآية: ٢٢، ٢٣.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٨) طالب علي الشرقي، النجف الأشرف عاداتها وتقاليدها، ص٢٦٩.
(٩) لقاء مع الأبرار (٦) السيد بحر العلوم، ترجمة كمال السيد.
(١٠) هو الملا زين العابدين السلماسي الذي رافق السيد بحر العلوم ليقوم بخدمته في سفره إلى مكة المكرمة ولزم صحبته.
(١١) عقائد الإمامية، ص٨٨ وما بعدها.
(١٢) الكليني محمد بن يعقوب، أصول الكافي، ٤٦٠/٢، ط٥.
(١٣) السيد محسن الأمين العاملي، الصحيفة الخامسة، ص٧٣، مطبعة الفيحاء بدمشق، ١٣٣٠هـ.
(١٤) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، المقدمة ص١١-١٢، ط٣، بيروت، ١٤٢٣هـ.
(١٥) المصدر السابق، ص٦٢-٦٣.
(١٦) الحاج علي دخيّل، الإمام المهدي، ص٩٠.
(١٧) طالب علي الشرقي، خواطر ومقتبسات في الدين والأدب والحياة (مخطوط)، ص٩٤.

كتاب الجامعة

أول مدون في الحديث

الشيخ حسن كريم الربيعي •
الكلية الإسلامية الجامعة

تمهيد

يعد الحديث المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية الذي يرتبط بالقرآن الكرم ارتباطاً وثيقاً من جهة أن الحديث يفسر ويبين إجمال وعموم القرآن الكريم ولا غنى للفقيه المجتهد عنه ففيه الكثير من التفصيلات المهمة لأحكام الشريعة الواردة في القرآن الكريم بجهة الإجمال أو العموم أو الإطلاق وغالباً ما نجد التفصيل والتخصيص والتقييد في الحديث الشريف.

يكاد يطبق الجميع أن لا تحريف في القرآن الكريم بل هو قطعي الصدور بدون زيادة ولا نقيصة وإن وردت روايات عند المسلمين يظهر منها التحريف فيه ولكن لا اعتبار بها أبداً.

إن المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن وإن الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم ﷺ وقد صرح بذلك كثير من الأعلام:

١ـ رئيس المحدثين الصدوق محمد بن بابويه وقد عد القول بعدم التحريف من معتقدات الإمامية.

٢ـ الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن

الطوسي في أول تفسيره التبيان.

٣ـ الطبرسي في مقدمة تفسيره مجمع البيان.

٤ـ الشيخ جعفر كاشف الغطاء في بحث القرآن من كتاب كشف الغطاء.

٥ـ الشيخ محمد جواد البلاغي في مقدمة تفسيره آلاء الرحمن[١].

وغيرهم من أعلام الشيعة الإمامية.

وعموماً قد أجمع علماء الإسلام بأن هذا القرآن المتداول هو نفسه بدون زيادة ولا نقيصة.

أما الحديث فيبدو أن هناك إجماعاً على أنه قد حصل فيه تحريف وتدليس وكذب على صاحب الرسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك على الأئمة من ولده عليهم السلام، وهذا واضح لمن تتبع الروايات ورأى فيها الكثير مما يخالف حتى القرآن الكريم، فقد لعبت السياسة دوراً كبيراً في اختراع الأحاديث الكاذبة للتقرب للسلطان أو الانتصار لمذهب أو غيرها من النوازع الاجتماعية أو حتى التجارية.

تدوين الحديث

يظهر للباحث في علوم الحديث اتجاهان في التدوين:

الاتجاه الأول:

القائل بضرورة تدوين السنة الشريفة وقد تزعمت هذا الاتجاه المدرسة الإمامية والأدلة على هذا الاتجاه كثيرة بل متواترة[٢].

الاتجاه الثاني:

القائل بضرورة منع تدوين السنة الشريفة والنهي عن كتابتها، ووردت

روايات تؤيد هذا الاتجاه في كتب الحديث، وفعلاً منع التدوين إلى عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) الذي أمر بتدوينها بعد مرور قرن من الزمان[٣].

وبهذا يكون الاتجاه الأول قد تحمل حفظ السنة الشريفة ونشرها وتدوينها وقد لاقى على أثر ذلك معارضة شديدة من القوى الحاكمة آنذاك وبالذات من قبل الدولة الأموية والعباسية، ولما كتبت السنة كانت تعرض على الرقابة بل أن السيرة النبوية كانت هي الأخرى تعرض على السلطة كما اعترض على أبان بن عثمان عند كتابته للسيرة وأحرق عروة بن الزبير كتب فقه له عندما شعر بخطورة السطوة الأموية على كل من يخالف نهج الدولة.

إن مدرسة الإمامة ترى أن الإمام هو الحافظ للشريعة والحفظ من صلب وظيفة الإمامة كما نرى ونحن نتصفح التاريخ أن الإمام الحسين عليه السلام نهض بثورته المباركة لعلمه أن الجاهلية في تزايد كبير قد يصل إلى محو الإسلام وقرآنه، فجاهد بكل ما أوتي من قوة فذهب شهيداً أعجز غيره في البذل والتضحية، وسلك الأئمة عليهم السلام المسلك الآخر لحفظ الشريعة وهو الاهتمام بالجانب العلمي مع الحفاظ على الثورة الحسينية المباركة، وبفضل هذين المسلكين للثورة الجهادي والعلمي الأصيل ظل مشعل الإسلام الخالد وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إن الشريعة الإسلامية تعتمد على الأحاديث الصحيحة في بناء أحكامها المختلفة، ورأت المدرسة الإمامية أن الأحاديث يجب أن تؤخذ أولاً من أهل العصمة والإمامة ومن صدق بهم وكان ثقة عدلاً لا يكذب في الحديث.

هنالك عدة شروط لمعرفة صحة الأحاديث، تناولها علم دراية الحديث، ولعلم الحديث اتجاهات متعددة فتارة يدرس السند برجاله ويسمى علم الرجال وتارة يدرس المتن لمعرفة ألفاظه وما يختص بها فيسمى فقه الحديث وتارة أخرى السند والمتن بمجموعه فيسمى علم دراية الحديث وله عدة أقسام وأحكام[٤].

كتاب الجامعة

جاءت الروايات المتواترة أن أمير المؤمنين عليه السلام قد كتب الجامعة وهو إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطه عليه السلام[٥].

يذكر الأستاذ الدكتور حسين علي محفوظ أن أمير المؤمنين عليه السلام قد كتب الجامع (كتاب علي أو صحيفة علي)، وكان الأئمة عليهم السلام يفتحونه وينظرون فيه ويسمونه الجامعة.

والجامعة هي: صحيفة فيها الحلال والحرام والفرائض وفيها كل شيء وفيها كل ما يحتاج الناس إليه وليس قضية إلا وهي فيها حتى ارش الخدش والظفر والجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة.

ثم يذكر الأستاذ أن طول هذا الكتاب سبعون ذراعاً مطوياً مثل فخذ الرجل وهو ما يقارب (٣٢،٥٥) اثنين وثلاثين متراً وخمسة وخمسين سنتمتراً[٦].

ويبدو أن أمير المؤمنين عليه السلام قد كتب عدة كتب في علوم مختلفة من

فم رسول الله صلى الله عليه وآله ظلت هذه الكتب عند الأئمة عليهم السلام وهو مصداق قولهم عليهم السلام إن أحاديثنا تنتهي إلى أمير المؤمنين عليه السلام عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.

ويبدو من الروايات بعض كتبه عليه السلام ومنها:

١ـ صحيفة الفرائض (صحيفة كتاب الفرائض ـ فرائض علي وقضاياه) وهي إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط الإمام علي عليه السلام.

٢ـ كتاب الجفر.

٤ـ مصحف فاطمة عليها السلام إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط الإمام عليه السلام فيه أشياء كثيرة من العلم وفيه وصيتها[٧].

ويظهر أن الجامعة تحتوي على أغلب هذه الكتب، فقد كتب الشيخ الكليني (ت ٣٢٩هـ) في كتابه إن الجامعة فيها علم الحلال والحرام: (فعن أبي شيبة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ضل علم ابن شبرمة عند الجامعة إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام بيده، إن الجامعة لم تدع لأحد كلاماً، فيها علم الحلال والحرام إن أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحق إلا بعداً. إن دين الله لا يصاب بالعقول)[٨].

إن كتاب أمير المؤمنين عليه السلام ذكرته مصادر المسلمين على أنه كان صغيراً في ذؤابة سيفه قد أملاه رسول الله صلى الله عليه وآله فيه أشياء عن الميراث[٩].

توارث الأئمة عليهم السلام هذا الكتاب بعد أمير المؤمنين عليه السلام وتذكر الروايات أن الإمام الباقر عليه السلام قد أخرجه لأصحابه، فقد جاء في نص الرواية: (فأخرج [الإمام الباقر عليه السلام] كتاباً مدروجاً عظيماً ففتحه وجعل ينظر فيه)[١٠].

ومن هذا يتضح أن رواياتهم مسندة إلى أمير المؤمنين عليه السلام عن طريق كتاب الجامعة المتوارث عندهم عليهم السلام فدعوى القطع والارسال في أحاديثهم لا دليل عليها، ومما يثبت أن الأئمة لم يأخذوا عن غير هذا الطريق وذلك لعدم وجود أساتذة وشيوخ لهم، فلا يدرس الباحث شيوخ وأساتذة للأئمة عليهم السلام فهم يحدثون عن آبائهم إلى أن ينتهي السيند إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مروراً بأمير المؤمنين عليه السلام الكاتب لهذه الصحيفة أو الكتاب الموصوف بأنه فيه الحلال والحرام حتى أرش الخدش وغيرها من الصفات، ويمكن القول أن هذا الكتاب يحتوي علم الرسول صلى الله عليه وآله وما تحتاجه الأمة من بعده.

(ففي حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا بأديم [أي جلد] وعلي بن أبي طالب عنده فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله يملي وعلي يكتب حتى ملأ بطن الأديم وظهره وأكارعه [بعض أطرافه]، وأن الرسول صلى الله عليه وآله علّم علياً وأسر إليه وحدثه بألف حديث لكل حديث ألف

باب)[11].

ومن السيرة التاريخية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة يتضح أن منهجهم منهج الرسول ورسالته الإسلامية بالتمام والكمال فقد أودعهم العلم كله، لقد نشر أمير المؤمنين عليه السلام هذه العلوم الكثيرة عن طريق تدوين الجامعة وما تحتويه من علوم مأخوذة مباشرة من فم الرسول صلى الله عليه وآله، فقال: (سلوني قل أن تفقدوني... والذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تضل مائة أو تهدي مائة إلا أنبأتكم بناعقها وسائقها)[12].

فالجامعة: هي التي احتوت علوم النبي صلى الله عليه وآله وما تحتاجه الأمة الإسلامية إلى قيام الساعة، والجامعة هي التي رآها الحكم بن عيينة عند الإمام الباقر عليه السلام لما اختلفا في شيء[13].

وفي الروايات نجد أن الجامعة فيها كل شيء يحتاج إليه الناس، وهذا يعني أن أول مدون للسنة النبوية الشريفة هو أمير المؤمنين عليه السلام وقد دونها كاملاً[14].

وفي رواية معتبرة يرويها الكليني (ت ٣٢٩هـ) في كتابه جاء فيها:

(وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة... فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر ذلك في بيتي... فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها...)[15].

والحديث طويل فيه دلالات على التكامل للدين الإسلامي بمصدريه قد حفظ عند أمير المؤمنين عليه السلام بدلالة هذه الرواية.

ذكر الشيخ الفضلي في كتابه تاريخ التشريع الإسلامي أن كتاب علي عليه السلام هو غير كتاب الجامعة أو الصحيفة[16] ولكن يبدو أنهما واحد بدليل أن الجامعة كما وردت فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج إليه الناس.

والجامعة هي أول كتاب جمع فيه العلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله[17]، ثم ذكر الشيخ الفضلي بعد أن شرح كتاب علي عليه السلام بشكل منفرد وقال إن الجامعة هي المعبر عنها في جملة من الأخبار بكتاب علي عليه السلام وفيه دلالة على أن الجامعة هي أول مدون حديثي يجمع مختلف العلوم وتسمى بعدة أسماء، والحق أن أمير المؤمنين عليه السلام قد كتب عدة كتب في ظل خلافته ومنها كتابه إلى محمد بن أبي بكر يعلمه مسائل عديدة، ولكن مصدر كثير من كتب الأئمة وأحكام الشريعة هي الجامعة:

وممن رأى الجامعة عند الإمام الباقر عليه السلام:

١- سويد بن أيوب.

٢- أبو بصير وقد رآها أيضاً عند الإمام الصادق عليه السلام.

٣- غدافر الصيرفي والحكم بن عيينة أو عتيبة في بعض الكتب[18].

ونقل عن الجامعة غير واحد من علماء الجمهور:

١ـ ابن سعد في آخر كتابه الجامع.
٢ـ البخاري ذكرها في ثمانية مواضع من الصحيح ورواها بثمان طرق.
٣ـ كتب الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب كتابه (صحيفة علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله: دراسة توثيقية فقهية)[١٩].

وفي الختام أتمنى من الله عز وجل التوفيق لجمع روايات كتاب الجامعة عند كل فرق المسلمين وبيان دور كتاب الجامعة في حفظ المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي وهي السنة النبوية الشريفة فقد حفظها أمير المؤمنين عليه السلام ودأب أئمة الهدى عليهم السلام في المحافظة عليها ونشرها بين تلامذتهم فكانوا يحدثون عنها وربما يخرجوها لجلسائهم أثناء المناظرات العلمية فما روي عنها لا يحتاج إلى سند ومن شاهدها ونقل منها فصحيح عنه ما ورد بغض النظر عن زمن من عاصر تدوينها من الصحابة والتابعين إن طال أو ابتعد، لذلك فإن الأئمة عليهم السلام وإن لم يشاهدوا النبي صلى الله عليه وآله يقولون قال النبي صلى الله عليه وآله فإن ذلك يدل على أنهم يتحدثون عن كتاب الجامعة هذا الذي هو بخط أمير المؤمنين عليه السلام وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله فلا حاجة إذن إلى سند متصل بالنبي صلى الله عليه وآله.

ومن مطاوي بحثنا اتضحت أهمية كتاب الجامعة عند المسلمين كإرث مكتوب في حفظ السنة النبوية وما يهم المسلمين قاطبة وفيها أيضاً دلالة انحصار العلم بالشريعة وما يحتاجه الناس بالإمام عليه السلام.

لذلك من الجدير ذكره أن يتولى الباحثون دراسة الجامعة بصورة أكثر تفصيلاً من هذا البحث المتواضع ■

---

(١) الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، (الكويت: لجنة التأليف في دار التوحيد، ١٩٧٩م)، ص٢١٨.
(٢) الجواهري، حسن، بحوث في الفقه المعاصر، ط١، (بيروت: دار الذخائر، بلا)، ج١ ص١٤.
(٣) المصدر نفسه، ج١ ص١٤.
(٤) للمزيد: ينظر الخلاصة في علم الدراية، لحسن كريم الربيعي.
(٥) الصدر، حسن، الشيعة وفنون الإسلام، (بيروت: دار المعرفة، بلا)، ص٢٩.
(٦) محفوظ، حسين علي، جوانب منسية في دراسة السنة النبوية، (بغداد: مطبعة الشموع، ١٤٢٦هـ)، ص١٩.
(٧) المصدر نفسه، ص٢٠.
(٨) الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، الكافي، (طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٨هـ)، ج١ ص٥٧، عبد الصمد، حسين العاملي، وصول الأخيار إلى أصول الأخبار، تحقيق: عبد اللطيف الكوة كمري، (قم: الخيام، بلا)، ص١٨٤.
(٩) الجواهري، بحوث، ج١ ص٢٤.
(١٠) المصدر نفسه، ج١ ص٢٠.
(١١) محفوظ، جوانب، ص٢٠.
(١٢) الثقفي، إبراهيم بن محمد، الغارات، (دمشق: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٠هـ)، ص٦.
(١٣) الصدر، الشيعة، ص٢٩.
(١٤) الفضلي، عبد الهادي، تاريخ التشريع الإسلامي، (إيران: سرور، ١٤٢٤هـ)، ص٢٩.
(١٥) الكافي، ج١ ص٦٤.
(١٦) الفضلي، تاريخ، ص٣٠.
(١٧) المصدر نفسه، ص٣٤.
(١٨) المصدر نفسه، ص٣٥.
(١٩) المصدر نفسه، ص٣٤.

أصول المكتبة.. ومنهج البحث العلمي

د. حسين سامي شير علي •
كلية الشيخ الطوسي

تمهيد

رغم تطور الآليات الحديثة من خلال استخدام أجهزة الحاسوب ومنظومات الانترنت التي فتحت أمام طالب العلم آفاقاً جديدة للاطلاع على آخر ما توصلت إليه التقنيات البحثية والعلمية في العالم، ولكن المكتبة العامة والخاصة تبقى ضرورة ملازمة للباحث لا يمكنه الاستغناء عنها بحال.

المكتبة: هي مجموعة من الكتب والمطبوعات الأخرى مرتبة حسب الموضوع على الرفوف. ولها كشاف على بطاقات بالعنوان أو المؤلف أو الموضوع أو تنظم أسماء الكتب التي تحتويها في سجلات تدون فيها أسماء الكتب وفق نظامين:

الأول: بحسب تسلسل حروف المعجم (أ. ب. ت. الخ). إذ يحتوي كل سجل على أسماء ومؤلفي الكتب التي تبدأ عناوينها بحرف واحد فهناك سجل خاص للكتب التي تبدأ أسماؤها بحرف الألف، وهناك سجل آخر للكتب التي تبدأ أسماؤها بحرف الباء... وهكذا.

الثاني: بحسب تسلسل الموضوعات: الفقه، الأدب، الحديث، الفلسفة... الخ. إذ يحتوي كل سجل على الكتب التي تختص في موضوع واحد فهناك

سجل خاص للكتب التي تتضمن الفقه الإسلامي، وآخر للكتب التي تتضمن الحديث الشريف... وهكذا مرتبة على حروف المعجم.

وبإمكان الطالب العثور على الكتاب المعين من خلال البحث عن اسمه في تلك الفهارس بسهولة ويسر.

والمواد التي تقتنيها المكتبات - خصوصاً الجامعية والعامة الكبيرة - تشتمل على الكتب والموسوعات والقواميس والأطالس والنشرات بالإضافة إلى المواد السمعية والبصرية والأفلام والميكروفيلم والصحف والدوريات... الخ.

ولذلك فإن الفائدة التي تعود على الطالب عند استمراره في مراجعة المكتبة هي كبيرة جداً لأنه سيتاح للطالب أن يتعلم بجهده الخاص طريقة الحصول على المعلومات واختيارها وتقييم الحقائق والأفكار المتعلقة بغرض معين.

وبهذه الطريقة سيزيد الطالب من اتصاله بالهيئة التدريسية للاستفسار عما يصعب عليه فهمه، هذا بالإضافة إلى أن الطالب سيتعلم أن تقديم المعلومات هو في واقع الأمر بناء تركيب منطقي للأفكار على أساس قواعد مبسطة تم التوصل إليها في الفن المكتبي، فضلاً عما يحققه ذلك من رضا ذاتي، إذ أنه قام بإعداد شيء بجهده الفكري الخاص وهذا من شأنه أن يساعد على تكوين شخصية الطالب وزيادة كفاءته من التحصيل العلمي أثناء الدراسة الجامعية أو الحوزوية وبعد التخرج منها في المجتمع.

ويجب أن لا يعتمد الطالب على غيره في عملية تحصيل الكتاب واقتباس المعلومة منه فإن فائدته وقتية وآنية ولا تخدمه مستقبلياً، ولعل المثل الصيني القديم يعبر عن هذا المعنى حين يقول: (إنك إذا أعطيت المرء سمكة تغذى بها مرة واحدة... ولكنك إذا علمته صيد السمك بنفسه تغذى كل أيام حياته).

ولتعزيز الإمكانات التبليغية لابد للمبلغ من مراجعة المكتبة على الأقل مرة في الأسبوع الواحد والمطالعة فيها من كتب

الأدب واللغة والفقه فضلاً عن المعاصر والجديد في التفكير العلمي، ومن ثم ممارسة دوره في الكتابة على مستوى المقالة أو التقرير أو البحث أو الدراسة أو تأليف كتاب، وكل ذلك يحتاج إلى منهج علمي يعتمد على أسس منطقية وتاريخية وعلمية.

فالبحث هو طلب الحقيقة وتقصيها وإذاعتها بين الناس.

ومنهج البحث: هو الطريقة التي يسير عليها الدارس ليصل إلى حقيقة في موضوع من الموضوعات الأدبية والثقافية العامة وغيرها.

إن منهج البحث مظهر حضاري تشتد الحاجة إليه بعد الحاجة إلى الدرس والتأليف وما يصحب ذلك من تراكم الخبرات وتضخم المادة وما يتصل بهما عادة من اضطراب وفوضى أو تعصب وجهل وجور يضيع في مجالها القارئ وتضيع الحقيقة فتختلط الأمور على الجيل الناشئ ويصعب عليه أن يتبين دربه ويخشى عليه أن يأخذ الباطل مأخذ الحق ويسلك إلى هدفه مسالك لا توصله في يسر أو لا توصله أبداً فيزيد على ضلال الأسلاف ضلال الأعقاب وينقص من محاسن الماضي ما يحتاج إليه المستقبل.

اختيار الموضوع

يتم اختيار الطالب لموضوع بحثه على مجموعة من الأسس وهي:

١- أن تكون هناك (مشكلة) أو (إشكال) أو (جدلية قائمة) في مسألة علمية معينة، يحاول الطالب أن يجد حلولاً لها، فالموضوع الذي يخلو من المشكلة هو موضوع سردي لا يحتاج إلى منهج في الكتابة وما أكثر الكتب التي صدرت قديماً وحديثاً وهي لا تعالج مشكلة.

٢- الدقة والوضوح: ليدل الطالب على عقلية نقية ولينطلق منطلقاً سليماً من غير تلكؤ وخطأ وتتضح هذه الدقة منذ العنوان.

٣- الجدّة: ولابد أن يكون البحث غير مطروق وغير مبتذل لكي يكون للطالب فيه شخصية وليبذل في إعداده جهداً ولئلا يتعود الكسل أو السرقة فتوقفه الفائدة التي أقرت من أجلها الأبحاث.

٤- وفرة المصادر: إن الموضوع الذي تقل مصادره بشكل مفضوح أو الذي يكون الكلام عليه مسهباً في مصدر واحد أو مصدرين فقط لا يصلح للاختيار لأن العمل فيه لا يعدو التلخيص ولأنه لا يزود الطالب خبرة باستعمال المصادر، ولا يهيئ له دليلاً على المراجعة والتقصي.

٥- مناسبته للمرحلة التي هو فيها: فكل يعمل بمستوى حصيلته العلمية وتحصيله المعرفي أكاديمياً وحوزوياً، ويستحسن أن يختار الطالب ما هو أقرب إلى نفسه ورغبته.

الخطة

وهي رسم للخطوط التي سيسير عليها الموضوع، وللصورة التي سيكون عليها وقد تكون أشبه بالهيكل العظمي أو كالخارطة التي يضعها المهندسون لما ستكون عليه البيوتات والعمارات والجسور والطرق، وكلها شرط قبل البدء في كل عمل منهجي منظم يراد له النجاح.

وهـذه الخطة ليس بإمـكان الطالب الباحـث أن يضعها قبـل أن يمتلك قاعدة معلوماتيـة عن الموضوع الـذي اختاره، وهـذه القاعدة لا يمكـن أن تتكون إلا مـن خلال المطالعة الوفيرة والمسـتمرة فـي مصـادر الموضـوع والأبحـاث السـابقة التي تناولته مـن جوانب أخرى لمعرفة تفاصيلـه ودقائقه مما يمكن أن يفيـد الباحث فـي عملية رسـم الخطة، أو التبويـب المناسـب للمباحـث التـي سـيتناولها الطالب فـي تقريره أو بحثه، وهـي عادة ما تسـمى بالأبواب إذا كان البحث رسـالة ماجسـتير أو دكتوراه، وهذه الأبواب تقسم إلى فصول والفصول تقسـم إلى مباحث والمباحث تقسم إلى تفريعـات أخرى، كأن تكـون (أولاً، ثانياً، ثالثاً... وهكذا).

وعمليـة اختيـار التبويـب المناسـب يرتبط مباشرة مع حجم البحث أو الرسالة من حيث السـعة والعمق وعدد الصفحات التي سوف تستوعبها الدراسة.

المصـــادر

هـي الكتـب التي تحتـوي على مادة من أخبار أو نصوص، وتتميز بأنها قديمة يعتمـد عليهـا الطالب في اقتبـاس المادة الخام، ومن المصادر ما يرقى تأليفه إلى عصـر الموضوع الـذي تكتب فيه ومنها مـا يعـود لعصور تالية له ولا شـك في أن الأقدم هو المهم.

المراجـع

وهـي المؤلفات الحديثة التي كتبها مؤلفـون معاصرون أو مـن أبناء العصر الحديث في موضوعـات قديمة، وتأتي تسـميتها بالمراجـع لأنهـا ألفـت لعامة القـراء لتكـون أقرب شـيء يرجعون إليـه للعلـم بشـيء أو العلم بعدة أشـياء والمفروض في أصحابهـا إنهم اعتمدوا المصـادر لدى جمـع مادتهـم وتأليفها. ومهمـا تبلغ المراجع مـن قوة فإنها تظل ثانويـة فـي عمـل البحـث وثانويـة جداً ترجع إليهـا لتتذكر موضوعاً أو لتطلع على أوائل الأشـياء أو لتقـف على وجهة نظر.

بعـد أن يكـون الطالـب قـد اختـار المشكلة ووضع عنواناً لمعالجتها ثم اطلع على مجموعة من المصادر والمراجع التي تناولـت جانـب منها، واسـتطاع أن يضع تبويبـاً مناسـباً لخطة (هيـكل) البحث، باسـتطاعته الآن أن يختـار من النصوص المتوافـرة فـي المصـادر والمراجـع ما يخدم البحث وما يمكن أن يسـتفيد منه في عملية العرض أو الفرضية.

وهنا يجب عليه أن يرتب هذه النصوص المقتبسـة في بطاقات صغيرة تضم كل مجموعة منها نصوصاً تخص فقرة واحدة من فقـرات خطته، فكل فقـرة وضعها فـي الخطـة سـتكون لهـا مجموعة من البطاقات (الجذاذات) والتي يسـجل عليها عادة اسم الكتاب الـذي تـم اقتباس النص منه والمؤلف وتاريـخ الطبـع ومكانـه ورقـم الجـزء والصفحة مـن الكتـاب الـذي اقتبس منه النـص، وبالتالي

يكتب نصه أو عبارته المطلوبة على أصل البطاقة.

بعد تلك المرحلة يبدأ الطالب بتدوين ما جمعه من المعلومات في بطاقاته في ورقة كبيرة تسمى (المسودة) التي يجب مراعاة الأمور التالية عند كتابتها:

١- تترك حواشي الورقة فارغة للتعليقات والإضافات التي قد تطرأ فيما بعد.

٢- كما يترك هامشاً مناسباً في الحجم في أسفل الورقة للإشارة إلى المصادر التي أقتبس منها النصوص.

٣- يراعى في نقل النصوص إلى المسودة الترتيب التاريخي أو المنطقي أو العلمي السليم، أي يجب أن تكون النصوص على شكل سلسلة مترابطة ومنسجمة مع بعضها.

٤- عندما تتكامل النصوص في أوراق المسودات يبدأ الطالب بقراءتها قراءة جيدة محاولاً التعليق عليها بنقد أو تحليل أو إيضاح أو مقارنة أو أي رأي يراه مناسباً مستخدماً الفراغات بين السطور والحواشي الجانبية.

٥- يكتب الطالب أسماء مصادره التي اقتبس منها النصوص في منطقة من الهامش أسفل الصفحة بعد أن يشير إليها في نهاية النص في الأعلى بالرقم (١) أو (٢) أو (٣)... الخ.

مثال: إذا كنت قد اقتبست النص من كتاب التاريخ للطبري، تكون الإشارة إليه في الهامش على النحو التالي:

(١) الطبري، محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٤م، ج١ ص١٥٠.

أي أنك تتبع التسلسل المنهجي التالي للإشارة إلى المصدر:

لقب المؤلف: الطبري.

اسمه الكامل: محمد بن جرير.

تاريخ وفاته: (ت ٣١٠هـ).

اسم الكتاب: تاريخ الرسل والملوك.

اسم المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

مكان الطبع: القاهرة.

المطبعة: النهضة القديمة.

تاريخ الطبع: ١٩٧٤م.

رقم الجزء والصفحة التي أقتبس منها النص: ج١ ص١٥٠.

المبيضة

أمامك الآن بحث مشوش الهيئة فحذف هنا وزيادة هناك، وتعليق هنا وتعليق هناك، وقد تضيق حاشية وقد تبقى أخرى بيضاء وقد تضطر أن تكتب على ظهر الورقة وقد تبقى لديك ورقة كأنها بيضاء، بالإضافة إلى الإشارات والأسهم التي تؤدي إلى الحواشي.

لذا فإن أول ما تفعله بعد أن تنتهي من المسودة في شكلها الأخير وبعد أن تنظر فيها نظرة من أجل وحدة أجزائها أن تقرأها، وأن تخرجها من هيئة التشويش إلى هيئة بينة واضحة أي أن تبيضها وأمامك الخطة في آخر صورها وأكمل أجزائها وهي:

المقدمة، التمهيد، صميم البحث بأبوابه وفصوله ومباحثه وأجزاء مباحثه أرقاماً وحروفاً، الخاتمة.

١- المقدمة، وتتضمن:

- تحديد الموضوع في زمانه ومكانه

ومادته.

- الخطة: بأن تتكلم موجزاً على الطريقة التي ستسير عليها معللاً اختيارك إياها لتضمن بذلك السير السليم منذ البداية حتى النهاية.

- صلتك بالموضوع وأسباب اختيارك إياه وخلاصة طريقك إليه.

٢- التمهيد قبل أن تدخل صميم البحث إذ لابد لك من تمهيد في العصر الذي وقعت فيه أحداث موضوعك تلم فيه بثلاث نقاط أساسية هي:

- الحالة السياسية.
- الحالة الاجتماعية.
- الحالة الثقافية.

وليس من الصحيح أن يعد التمهيد باباً من أبواب الكتاب أو فصلاً من فصوله وليس من الصحيح كذلك أن تكون الحواشي والمصادر المذكورة فيه على الدرجة التي تكون عليها في صميم الكتاب.

٣- صميم المادة:

عند كتابة ما يتعلق بصميم المادة في مرحلة المبيضة، يجب مراعاة ما يلي:

أ. وضوح الحرف مع ضبط الرسم (الإملاء).

ب. وضع النقاط في أماكنها تحت الحرف أو فوقه والدقة في كتابة الهمزة.

ت. علامات الترقيم: ، ؛ . ! ؟ : يجب أن تكون في مواقعها من الكلام.

ث. سلامة النحو.

ج. الدقة في استعمال الأقواس.

ح. الكتابة على وجه واحد من الورقة.

خ. ترك سطر أو أكثر بعد كل فقرة.

د. ليكن الهامش عريضاً شيئاً ما وليكن الدليل طويلاً شيئاً ما.

٤- الخاتمة:

لابد لكل بحث علمي من خاتمة، ويستحسن أن لا تطول والمفضل فيها أن لا تزيد على عشر صفحات في بحث يزيد على (٣٠٠) صفحة.

والمعتاد في الخاتمة أن تتضمن خلاصة لمجموع البحث تثبت في ذهن القارئ النقاط الأساسية في مجموع ما قرئ.

٥- أخيراً لابد من قائمة في نهاية البحث تتضمن المصادر التي اعتمدت عليها وهذه القائمة هي ما يسمى الفهرس، وفيه تكتب ما اشتهر به المؤلف وتضع بعد خط قصير بين قوسين اسمه الكامل ونسبه وتاريخ وفاته ثم بعد فارزة أو نقطة تضع اسم الكتاب كاملاً منتهياً بنقطة ثم اسم المحقق كاملاً - إن وجد - ثم فاصلة ثم مكان الطبع يليه اسم المطبعة ودار النشر والسلسلة ورقم الكتاب من السلسلة - إن وجدت - ثم تاريخ الطبع مختوماً بنقطة.

يلي ذلك المصدر الثاني: اسم المؤلف، اسم الكتاب، تاريخ الطبع على سطر جديد، وهكذا تتوالى المصادر ولا موجب للأرقام أي كتابة ١، ٢، ٣، ٤ قبل كل مصدر.

تلك نقاط أساسية في منهج البحث وهي ليست كل شيء، أي إنك لا تكون ملزماً بها كلها في كل بحث، وإنما تأخذ منها الضروري الذي يتطلبه موقفك وتترك الباقي الذي لا يدخل ضمن البحث المراد إنجازه ■

الدولة الصفوية.. حقائق تاريخية

د. حيدر نزار السيد سلمان ●
الكلية الإسلامية الجامعة

بعد سقوط بغداد (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) بيد المغول وقعت إيران هي الأخرى تحت سيطرة هؤلاء القادمين المندفعين من آسيا الوسطى بجيوشهم العظيمة والمدربة والمسلحة والمنضبطة عسكرياً لكن اضمحلال قوة المغول وضعف دولتهم وانقسامها إلى عدة دويلات يقودها ويحكمها أحفاد هولاكو قد أزال ذلك المجد الذي تحقق وتلك السيطرة الواسعة الموحدة لتتحول هذه الدويلات إلى التناحر والصراع فيما بينها وكانت الأسر والقبائل القوية الباحثة عن السلطة والتملك قد استغلت الفرص التاريخية لتظهر على الساحة السياسية مكونة الإمارات والدويلات وهو ما يمكن أن نلاحظه في إيران في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي وبداية القرن السادس عشر الميلادي.

فقد توزعت هذه البلاد المترامية الأطراف وصاحبة الإرث الحضاري إلى مجموعة من الكيانات السياسية المتناحرة فقد كان أحفاد (تيمور لنك) يحكمون خراسان في الوقت الذي تحكم الأسرة التركمانية التي أطلقت على دولتها (الخروف الأسود)

(قـرة قوينلـو) (قزويـن) وفـي (تبريز) المركـز الجغرافي المهم ويصل نفوذ سـلطتها إلى العـراق وفي (عربسـتان) كانـت (الدولـة المشعشـعية) والتـي أسسـها (محمـد بن فلاح المشعشـعي) هي الحاكمة.

وفـي هذه الأجـواء السياسـية التي تشـير إلـى مـدى التمـزق والصـراع المحتـدم من أجل التوسـع ومد النفوذ والسـلطة كانت مدينة (أردبيل) ضمن إقليم (أذربيجان) تشهد حركة صوفية قوية متأثرة إلى أبعد الحدود بحب أهل البيت عليهم السلام ويسود في مراكزها نوع من التشيع وكان (صفي الدين الأردبيلي) هو المرشـد المؤثر في هـذه الحركـة التي أخـذت بالانتشـار والتوسـع والتقـرب أكثـر مـن التشـيع وكان المناصـرون والمريدون يزدادون تعلقاً وحباً بمرشدهم الـذي اسـتطاع جمع الآلاف منهـم فـي (أدربيل) ملتفين حوله حيث حصلت المدينة على اسـم جديد هو دار الإرشاد نظير ما يقوم به (صفي الدين) مـن إرشـاد وتعليـم مريديه على حب أهل البيت عليهم السـلام والتعفـف والتقـرب مـن الله تعالـى حتى أصبح الـ(خانقاه) وهو مكان للتصوف والاعتزال يشـهد تدفق آلاف المريدين للاسـتماع للإرشـاد والتعليـم والتبرك بلقـاء المرشـد مثلمـا أخـذ المحبـون يقدمـون مـن أماكن بعيدة سـواء من الأناضول أو من جبـال (زاغروس) إلى (أذربيجـان) حيـث يقيم (صفـي الدين الأردبيلي).

والحقيقـة أن الأتـراك يشـكلون العنصـر الأساسـي مـن المريدين وقد زاد مـن وجود هؤلاء قيـام أحد أحفاد (صفـي الديـن) وهـو (خواجـة علـي) بالتوسـط لإطلاق سراح أعداد كبيرة

قبر صفي الدين الذين نسب إليه الصفويون في مدينة أردبيل

من الجنود الأتراك الذين سقطوا أسرى بيد (تيمور لنك) بعد هزيمة السلطان العثماني (بايزيد الأول) ووقوعه أسيراً هو الآخر وقد شعر هؤلاء الأسرى بالامتنان والعرفان بعد إطلاق سراحهم من الأسر وأصبحوا من أشد الموالين للأسرة الصفوية وجنودها على الرغم من مذهب هؤلاء السني.

ويمكن التأكيد على إن الحجر الأول لبناء الدولة الصفوية يعود إلى (الشيخ جنيد) أحد أحفاد (الشيخ صفي الدين) الذي استطاع دمج التصوف بالتشيع معظماً الأئمة الأطهار عليهم السلام وكذلك فإن (الشيخ جنيد) الذي جمع المتمردين والأتباع حوله منظماً قد جعل من غطاء الرأس (القلنسوة) الحمراء إحدى مميزات أنصاره الذين تحولوا من مريدين متصوفة إلى مقاتلين أشداء وكان غطاء الرأس الأحمر ذو الشقوق الاثني عشر حسب الاستناد على الأئمة الاثني عشر قد ميّز (القزلباش) وهم فرق الجيش الصفوي المحاربة والقوية، حيث اشتهر هؤلاء بغطاء الرأس الأحمر وشدة البأس والاندفاع القوي في القتال لكن (الشيخ جنيد) قتل في معارك مع الجيش الشركسي.

وقد كان هذا عاملاً مهماً في ازدياد إيمان الأنصار والمريدين وحبهم للعائلة الصفوية لما تتمتع به من مركز ديني وقدسية في نفوس القبائل التركمانية وفعلاً فقد أخذت العديد من القبائل التركمانية تعلن ولاءها لهذه العائلة التي أخذت في تكوين كيانها السياسي وتشكيل دولتها المستقلة الخاصة المستندة إلى الموالاة لأهل البيت عليهم السلام ولم تتوقف الجهود في هذا المجال بعد مقتل (الشيخ جنيد) حيث حل (الشيخ حيدر) محل والده وسار على نهجه وقد بدأ نشاطه في محاربة (الشراكسة) ونشر الإسلام في مناطق (القفقاز) حيث حصل على دعم خاله السلطان (أوزون حسن) سلطان دولة (الخروف الأبيض) الـ(آق قوينلو) ولكن هذا القائد الشجاع قد سقط قتيلاً في معاركه مع (الشراكسة) (١٤٧٣م) وقد أدى ذلك إلى أسر أولاده الثلاثة وزوجته وأولاده هم الأكبر (يار علي) والأوسط (إبراهيم) والأصغر (إسماعيل) الذي كان عمره سنة واحدة.

وقد احتجز هؤلاء مع والدتهم في سجن بمدينة (اصطخر) بإقليم (فارس) وقد قضوا بالأسر أكثر من أربعة أعوام أطلق سراحهم فيما بعد نتيجة الصراعات السياسة القائمة بين ورثة السلطة في دولة (الخروف الأبيض) وكان المريدون والأنصار ينتظرون (يار علي) بوصفه زعيماً جديداً لهم وقد استقبله الآلاف من الناس حين وصوله إلى مدينة (تبريز) القريبة من (أردبيل) والتي اتخذها الصفويون عاصمة لهم.

وقد بدأ (يار علي) في وضع اللبنات لواقع سياسي جديد ولأسرة حاكمة جديدة فخاض لأجل ذلك الكثير من الحروب والصراعات من أجل تقوية سلطان الصفويين ونفوذهم والحقيقة إن هذا التقدم والتفوق أثار حفيظة المنافسين من الحكام والأسر الحاكمة وكان (رستم) سلطان (الخروف الأبيض) أكثر المتضايقين

من زيادة نفوذ (يار علي) فوجه قوة لمطاردته فانتقل (يار علي) مع أنصاره إلى مقر العائلة الرئيس في مدينة (أردبيل) وقد شعر أن الخطر أصبح قاب قوسين منه لذلك فقد عمد إلى إخفاء أخويه إبراهيم وإسماعيل عند أحد أنصاره المقربين حيث نقلا عبر الطرق الجبلية الوعرة إلى مدينة (لاهيجان) تحت حماية حاكمها والذي رفض تسليم إسماعيل عند المطالبة به من قبل سلطان دولة (الخروف الأبيض) وكان خلال فترة بقائه في مدينة (لاهيجان) وهو يبلغ من العمر سبعة أعوام انشغل في تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم والتدريب على القتال والحرب حتى أصبح فتى شديد البأس قوياً صاحب شخصية جذابة، وحين بلوغه الثالثة عشر من عمره قرر العودة إلى مدينة (أردبيل) فعاد إليها جامعاً لأنصاره وأتباعه مكوناً جيشاً قوياً استطاع من خلاله تحقيق انتصارات مهمة على مناوئيه رفعت من سمعة (القزلباش) العسكرية وأدخلت الخوف والرعب في قلوب المنافسين وهذا ما ساعد على إعلان العديد من القبائل التركمانية تأييدها وانقيادها إلى سلطة إسماعيل ليمهد ذلك الطريق أمام إعلان قيام دولة جديدة وقوية هي الدولة الصفوية عام (١٥٠٠م) وأصبح السلطان إسماعيل الصفوي هو حاكمها فاستمر في حكمه إلى عام (١٥٢٤م).

كانت الخطوة الأولى التي سار عليها (الشاه إسماعيل الصفوي) اتخاذه المذهب الشيعي مذهباً رسمياً للدولة على الرغم من اعتراضات عدد كبير من رجال حكمه إلا أن حب الرجل لأهل البيت عليهم السلام وتشربه بأفكارهم وعقيدتهم قد جعلته يصر على ذلك معلناً بذلك أول دولة شيعية بالتاريخ الحديث وقد عمل (الشاه إسماعيل) بحكمة وحنكة سياسية عالية في بسط سلطانه ونفوذ دولته محققاً إنجازاً عظيماً بتوحيده إيران بدولة قوية وحديثة حيث استطاع القضاء على كل الدويلات الحاكمة والتخلص من أعدائه وتوجه إلى العراق واستطاع القضاء على دولة (الخروف الأسود) ليصبح العراق تحت حكم الدولة الصفوية عام (١٥١٤م).

ونظم (إسماعيل الصفوي) أسس دولته وقانونها وسعى إلى نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام في كل الأرجاء كما قرب العلماء والأدباء والمثقفين والشعراء وفسح المجال لكل الأديان بممارسة عقائدها وشعائرها بحرية وهذا ما قرب الناس منه وجعله محبوباً واهتم (الشاه إسماعيل) ببناء الجيش وتطويره فامتدت فتوحاته إلى أماكن بعيدة حتى أصبح لدولته شأن عظيم ومما يمكن الإشارة إليه أن (إسماعيل الصفوي) كان شاعراً مجيداً وله ديوان شعر ولكن الملاحظات الأكثر شهرة عن هذا الرجل العظيم هو حبه وموالاته الشديدة لمذهب التشيع على الرغم من كونه محاطاً بمجموعة من الدول السنية التي ناصبته العداء وعلى رأسها الدولة العثمانية والدولة (الأوزبكية) حيث شنت الحروب المستمرة للقضاء على هذه الدولة الشيعية.

وخلف (الشاه إسماعيل) ابنه (الشاه طهماسب) الذي تقرب إلى العلماء ومنهم

(علي بن الحسين الكركي) المتوفى (٩٤٠هـ) والذي حصل على منصب (شيخ الإسلام) وقد عمل على إعلاء أعلام المذهب الجعفري ونشر فقه أهل البيت عليهم السلام ففوضه (الشاه طهماسب) سلطات واسعة ومنها عزل ونصب وانقياد كل الحكام والرؤساء في الأمور الشرعية وكان (الكركي) ناصحاً منتقداً لكل أخطاء الشاه ناشراً للعلوم الشرعية للمدارس الدينية بعد قدومه من مدينة النجف الأشرف حيث مقر المرجعية الدينية العليا وكذلك فقد تولى منصب (شيخ الإسلام) عند (الشاه سليمان الصفوي) (الشيخ العلامة المجلسي) صاحب كتاب (بحار الأنوار) وهذا يعطي دليلاً على مدى الانسجام بين الدولة الصفوية وعلماء الدين وارتباط الحكام الصفويين ورعايتهم لهؤلاء العلماء.

حكم الدولة الصفوية عدد من الحكام كان أبرزهم (الشاه عباس الكبير) الذي تولى السلطة عام (١٦٣٩م) واشتهر بقوته وبأسه وشدته وتوطيده لأركان الدولة بعد أن أصابها الفتور والضعف وفي عهده اتخذ الصفويون من مدينة (أصفهان) عاصمة صيفية لهم وقد جعل منها (الشاه عباس الكبير) رمزاً للتطور والجمال والحداثة وأصبحت ملتقى لكل الأقوام ومن كل المذاهب والأديان وكان الشاه نفسه متسامحاً في مجال الحريات الدينية منفذاً للقانون.

وقد استمر التآمر الدولي ضد الدولة الصفوية وهذا ما جعل الشاه عباس) يتقرب من الدول الأوربية ويجلب البعثات العسكرية لتدريب وتحديث جيشه للوقوف أمام الأعداء الذين تدفعهم النزعة الطائفية المقيتة للقضاء على الدولة الصفوية ومنهم العثمانيون والأفغان والأوزبك وفعلاً فقد بلغت الدولة في عهده قمة تطورها وصعودها الحضاري وكان (الشاه عباس) قد تقرب كثيراً من علماء الدين الكبار ومنهم (الشيخ البهائي) و(الداماد) و(الفندرسكي) وكان هؤلاء يتمتعون بسلطات دينية واسعة ويوجهون الانتقادات اللاذعة (للشاه عباس الكبير).

عرف عن (عباس الكبير) موالاته وحبه لأهل البيت عليهم السلام وكان يلقب نفسه بـ(كلب أهل البيت) وهو على هذه الحال من السلطة والنفوذ وهذا ما أكسبه حب شعبه وارتياحه.

كانت الدولة الصفوية واحدة من أعظم الدول المتحضرة التي ظهرت في العصر الحديث لما امتازت به من قوة وتطور وهيبة ووقوف بوجه أعدائها الذين روجوا الإشاعات الطائفية ضدها وفي ظل هذه الدولة انتشر فكر التشيع بشكل واسع وامتد إلى مناطق بعيدة ومن الغريب أن يوجه كاتب ومفكر إيراني مثل (علي شريعتي) انتقاداته للدولة الصفوية وخاصة فيما يتعلق بإقامتها العلاقات مع الدول الأوربية ضد الدولة العثمانية متناسياً (شريعتي) أن العثمانيين أنفسهم هم أول من تعاونوا مع الأوربيين كما إن الدولة المتحضرة تقيم العلاقات فيما بينها كجزء من السياقات الدبلوماسية والمنافع السياسية والاقتصادية وهو

ما حققه الصفويون من هذه العلاقات ويتناسى شريعتي قوة التآمر العثماني ضد هذه الدولة الشيعية والحقيقة إن في اتهامات شريعتي من الأخطاء الكثير.

عاشت الدولة الصفوية في مرحة من الضعف والخوار بوصول (الشاه حسين) إلى السلطة وكان هذا ضعيفاً عندما تولى عام (١٦٩٤م) وساعد على انهيارها عام (١٧٢٢م) الصراعات داخل العائلة الحاكمة وتدخل ومؤامرات بعض رجال الدين السنة وكذلك تدخل النساء في السياسة وتأثيرهن في اختيار الحكام، فكل ذلك ساهم في سقوط الدولة الصفوية على يد (السلطان الأفغاني محمود) الذي هاجم من الشرق في الوقت الذي كانت الدولة تصد هجوم الروس من الشمال والأتراك من الغرب وعلى العموم فإن هذه الدولة العظيمة قد تركت من الشواهد التاريخية والحضارية ما يؤكد هيبتها وقوتها ولا يمكن بأي حال من الأحوال التقليل من دورها التاريخي في نشر التشيع والدفاع عن فكر أهل البيت عليهم السلام بالإضافة إلى قوتها الاقتصادية والسياسية والثقافية ولا يمكن التغافل عن أن هذه الدولة هي أول دولة اتخذت المذهب الشيعي مذهباً رسماً لها في العصر الحديث ■

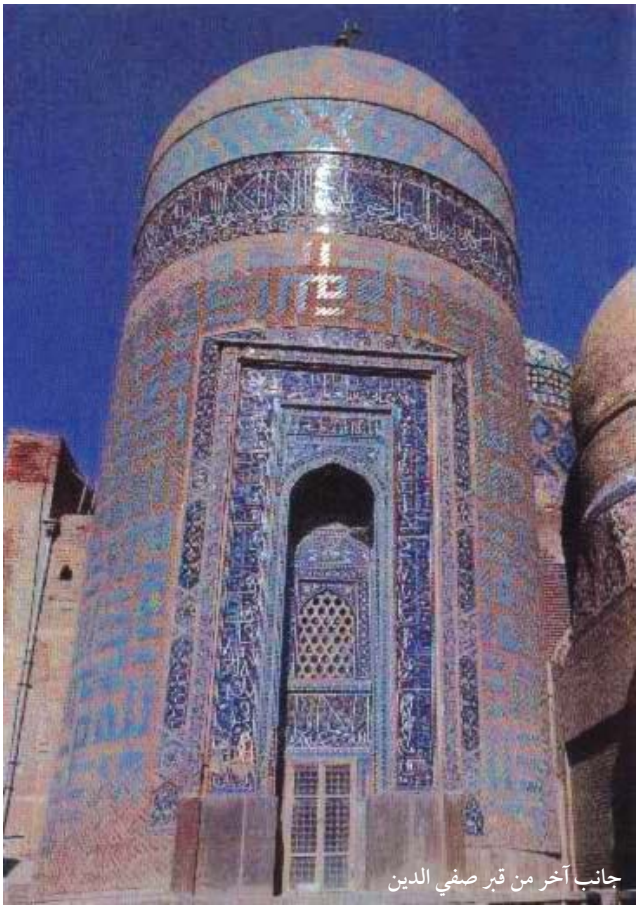
جانب آخر من قبر صفي الدين

لمزيد من الإطلاع انظر:

(١) سليم واكيم، إيران والعرب.
(٢) كمال السيد، نشوء وسقوط الدولة الصفوية.
(٣) ستيفن لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث.
(٤) المجلسي، بحار الأنوار، الجزء الأول.
(٥) محمد الحسون، حياة المحقق الكركي.

الزهد والإسراف في البنيان

د. علي ثويني •
معمار وباحث/ مملكة السويد

تمة تأيض وتمثيل ومشيمية بين المنتج الإبداعي الإنساني والفكر المحرك له سواء ديني أم فلسفي، فما تصنعه اليدان مصدره وعي وقناعات ونوازع ذهنية، يكمن وراءها هواجس وبواطن نفس بشرية لا يعلم كنهها إلا بارئها، ويحاول العلم الحديث سبر أغوارها، ولا يستكثرها علينا المتعصبون للحداثة ، حينما يعلمون أن (جاك دريدا) (اليهودي الفرنسي ـ الجزائري)، الذي أنتج الفكر التفكيكي الحداثي، قد أصطحب المعماريين إلى مشروع متنزه لافاييت في باريس ليملي عليهم نظريته، وليجسدوها سطوحاً وفضاءات وجماليات معمارية، وليؤكد مشيمية الفلسفة والمنتج الإبداعي في كل زمان ومكان.

الممارسة الأخلاقية هاجس اجتماعي ـ ديني، وإحدى سمات تلك الممارسة هو (الزهد)، من ضمن منظومة الأخلاقيات التي (تممها) الدين الحنيف. والزهد يعني التواضع والوسطية والابتعاد عن الغلو والإسراف كمنهج أخلاقي

إسلامي. وبقي هذا المبدأ صنواً للمنهج القويم للإيمان ووجد تباعاً (مثل حال كل التوجهات الفكرية) صداه في العمران والعمارة.

والزهد (Ascetisme) في اللغة يعني (الإعراض عن الشيء لاستقلاله واحتقاره وارتفاع الهمة عنه) كما ذكر ذلك ابن رجب[1]، أو يرد ضد الرغبة وليس عدمها بإطلاق، ومنه قولهم زهيد للقليل دون المعدوم... ويقال (خذ زهد ما يكفيك أي قدر ما يكفيك) وبذلك فالزهد هو القليل، ورجل زهيد الأكل قليله[2]. وورد المعنى في الذكر الحكيم (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنْ الزَّاهِدِينَ)[3].

وورد في الحديث النبوي الشريف بما يحدد تلك الصفة والمفهوم: (الزهاد في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذ أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها بقيت لك) وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أيضا: (أزهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس)[4].

وقد رسم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خطاباً أخلاقياً زاهداً من خلال حالتين: (الاعتدال في العيش دون الحرمان من الطيبات وهذه لعامة الناس، واختيار الفقر والحرمان للأئمة)[5]. أو قوله بما ورد في (مرآة الزمان) لسبط ابن الجوزي: (على أئمة الحق أن يتأسسوا بأضعف رعيتهم حالاً في الأكل واللباس ولا يتميزوا عنهم بشيء)[6]. والزهد لدى الإمام أبى الحسن يهدف إلى إقامة مجتمع المتقين المثالي، وحدد تلك الفلسفة في خطابه إلى محمد بن أبي بكر والي مصر: (أن المتقين حازوا عاجل الخير وآجله، وشاركوا أهل

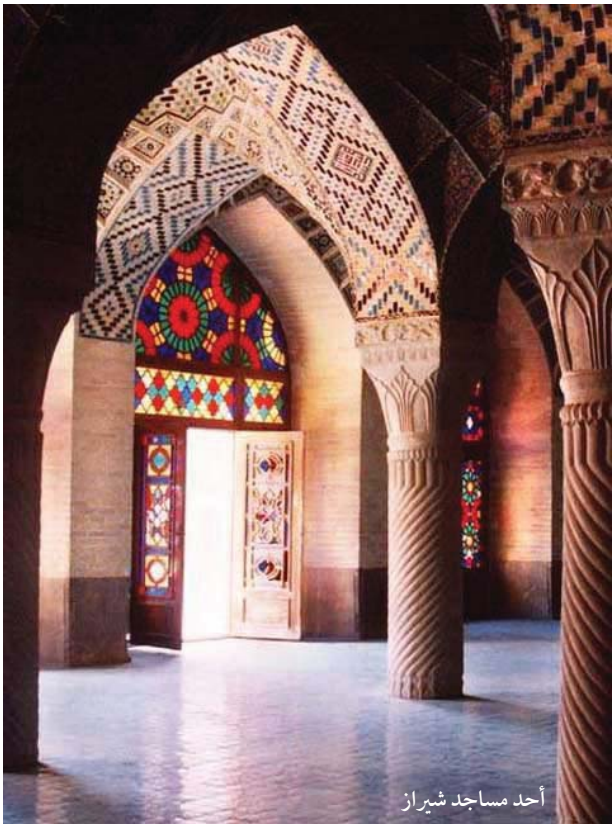
أحد مساجد شيراز

الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، أباح لهم الله الدنيا ما كفاهم به وأغناهم... سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أكلت، أصابوا لذة الدنيا مع أهل الدنيا، وهم غداً جيران الله يتمنون عليه فيعطيهم ما يتمنون، لا ترد لهم دعوة، ولا ينقص لهم نصيب من اللذة، فإلى هذا يا عباد الله ليشتق من كان له عقل، ويعمل له بتقوى الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله)[٧]. ويذكر في أخبار الفتح الأولى إلى فارس، وفي رواية يصف الطبري فيها ورود سفير من العرب اسمه ربعي بن عامر على رستم الذي استلم دفة الأمور بعد موت الملك يزدجرد، ويروي عن ربعي هذا أنه قال: (يا أهل فارس، إنكم عظمتم الطعام واللباس والشراب وإنا صغرناهن).

ووردت الدعوة للزهد في الشعر العباسي عندما تصاعد الغلو في البذخ والإسراف من قبل السلاطين، وظهور الحركة الصوفية في البصرة الأموية ثم توسع منحى الزهد في بغداد العباسية:

إذا أردت شريف الناس كلهم
فأنظر إلى ملك في زي مسكين
ذاك الذي حسنت في الناس رأفته
وذاك يصلح للدنيا وللدين

ووردت أقوال وآراء في الزهد لدى العلماء في التراث الإسلامي كما قال الفضيل بن عياض الفقيه المغربي (الزهد هو الرضا عن الله)[٨].

وقال أيضاً: جعل الله الشر كله في بيت، وجعل مفتاحه حب الدنيا، جعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه

مسجد السلطان الناصر بن قلاوون في طرابلس بني سنة ٧١٥ هـ

الزهـد. وقال سـفيان الثـوري (١٦١هـ/ ٧٧٧م) (الزهـد في الدنيـا قصر الأمل ليس بـأكل الغليـظ ولا بلبـس العباء). ومـن بواكيـر الفكـر الصوفـي في الإسلام نذكر ما قاله الحسن البصري (ت ١١٠هـ/ ٧٢٨م): (الزاهـد الـذي إذا رأى أحداً قال: هو أفضل مني)[٩].

وجـاء فـي الأخبـار أن سـأل رجـل الإمام الصادق عليه السلام: على أي شيء بنيت عملـك؟ قال: (على أربعة أشـياء: علمت أن رزقـي لا يأكلـه غيـري فوثقت به، وعلمـت أن علـي أموراً لا يقـوم بأدائها غيري فاشـتغلت بها، وعلمت أن الموت يأخذني بغتة فاسـتعددت له، وعلمت أن الله مطلع علي فاستحييت منه).

وسـئل الجنيـد البغدادي عـن الزهد فقـال: خلـو اليد مـن الملـك، والقلب من التتبع. وقال الصوفي بشـر الحافي: الزهد ملك لا يسكن إلا في قلب خال، وقال الصوفي البغدادي السري: مارست كل شـيء من أمـر الزهـد، فنلت منه ما أريـد إلا الزهد في النـاس، فإني لم أبلغـه ولـم أطقه. قال يحيى بـن معاذ: لا يبلغ أحـد حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاث خصـال: عمل بلا علاقـة، وقول بلا طمع، وعز بلا رياسة.

ومن مرادفات الزهد التقشـف وهو أكثـر من الزهـد في مرتبـة اللارغبة. ويـرد كذلـك مفهومـا (الحـرص) أو (الاقتصـاد) اللذان يعنيان الوسـطية في الصرف والتصرف. ويذكر ابن خلدون في تاريخه رسالة طاهر بن الحسين إلى ولـده عبد الله حيـن ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما، حيث يذكر: (وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها، فليس شيء أبيـن نفعاً ولا أجمع فضلاً منه، والقصد داعيـة إلى الرشـد، والرشـد دليل على التوفيـق، والتوفيق قائد إلى السـعادة، وقوام الدين والسـنة الهادية بالاقتصاد، وكذا في دنياك كلها)[١٠].

وعكـس الزهـد يرد الإسـراف أو التبذير ترد كثير من التفاسير في اللغة والفقه الإسلامي ومنها يقول الجرجاني بان الإسـراف: (هو إنفاق المال الكثير فـي الغـرض الخسـيس)، وفـي موضع آخر يقول الإسراف هو: (صرف الشيء زائداً على ما ينبغـي، وبخلافه التبذير، لأنه صرف الشيء فيما لا ينبغي). وعرف التبذيـر ابن العربـي قائلا: (أنـه تجاوز الحـد المباح إلى المحظـور)، وقال عن التبذيـر: (هو منعه من حقـه ووضعه في غير حقه، بمعنى الإسراف)[١١].

وللنصـوص الداعيـة للزهد تفسـير فلسـفي تنعكـس مـن شـعور المؤمن بالهـوة السـحيقة بيـن سـمو الآخـرة وحقـارة الحيـاة الدنيا كما أسـلفنا في رسـالة الإمام علي بن أبـي طالب عليه السلام. ويمكن أن يكون هذا سبباً كافياً لأن تعلن جل الأديـان كفاحها ضد الجميل لحدسـها بـأن ذلك الجميـل يقيد الناس بالدنيا ويطمعهـم بمتعتها الموجودة في الملبـس والمـأكل والأهم فـي العمارة التي هي خير محـل لتفريغ حالة العافية التي تكتنف الإنسان وبذلك جاء الدين والفـن الدينـي والعمارة الدينيـة موجباً على الناس خشـية الخالق الضابط لتلك الجدلية.

وبالرغـم مـن ذلـك فـأن الديانـات تعلـن عداءهـا ضمناً للجميـل لكنها لم تعلـن عداءهـا (للسـامي) الـذي يعاضد

الممارسة الأخلاقية في العقائد لما لها من تداخل مع الغيبيات التي تثنينا عن الإتيان بالقبائح. وكان من وراء عدم القطيعة مع (السامي) من تأثير عاطفي على الناس، حينما يترك لديهم دهشة، ويوقظ فيهم الحماس من خلال الهيبة التي يفرضها على المتلقي فيشعر بعدم قدرته على المقارنة مع الظواهر الأخرى.

ينطبق هذا الأمر على جل الأديان ويستثنى منها الإسلام الذي يؤمن بالجمال الموضوعي كما ورد في الحديث (الله جميل ويحب الجمال)[١٢].

لقد وردت ممارسات هذا المذهب الصوفي في الأديان البوذية والمسيحية والمانوية قبل ورودها في الإسلام، ومن الجدير ذكره أن اليهودية بنيت على مبادئ تجارية غير داعية للزهد أساساً، واعتباره باباً للإيمان الصحيح، وسمة مشتركة لجمهور المؤمنين، كمطلب لبناء الحياة الروحية المثلى. وقد وصل البعض من النصارى إلى قناعات في ممارسة الرهبنة والتبتل والإعراض عن ملذات الدنيا في المأكل والملبس والفرج. ولكن الإسلام لم يقر ذلك المبدأ، للمصطفى العربي ﷺ حديث يستهجن فيه تلك الممارسة. بالرغم من المنطلقات الصريحة في التسامح مع متطلبات النفس بالتلذذ المقنن، فقد شذ عن ذلك وبالغ كثير وتمادى رهط كبير من طبقة رجال الدين، جل الملوك وبطاناتهم الذين وجدوا لهم في التمتع بملذات الدنيا، مخرجاً فقهياً تفسيرياً من ضمن النصوص المتسامحة.

الزهد و العمارة

وردتنا أخبار العمائر الإسلامية الزاهدة الأولى، التي أقامها المسلمون في صدر الإسلام ابتداء من مسجد المدينة، على حجراته الجانبية الذي شاده الرسول الكريم ﷺ بيده من مادة الطين وسقفه بجذوع النخيل وسعفه مثل أي دار للعامة. قد مكث فيه حتى توفاه الله فدفن في إحدى حجراته.

جاءت الأخبار في حديث ابن السائب عن الإمام الحسن عليه السلام قال: (كنت أدخل بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في خلافة عثمان فأتناول سقفها بيدي).

ويعزي البعض أن هذا الزهد المعماري متأت من بيئة الصحراء الفقيرة التي ورد الإسلام من ثناياها، أو ربما عقلية أهلها القنوعين المؤثرين البساطة والدعة وشظف العيش. ولكن فاتهم في ذلك التعليمة الواردة في المنظومة الأخلاقية للإسلام والتي وردت في الذكر الحكيم (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا)[١٣] وذلك النعت ترك أثره في بواطن العقلية الإسلامية، وكانت للقدوة الحسنة أثرها في ذلك.

وجاء في ذكر الزهاد من الصحابة ممن أثبتوا بسيرهم سمو العقيدة المسيرة لسجاياهم، ومنهم سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري الذي نقل عن أخباره بأن زوجته لم تجد ما تكفنه به بعد وفاته، وهو صاحب الرسول الكريم.

ومن الجدير ملاحظته في أيامنا أن الإسلام أتى بحلول اقتصادية

ذات روح إنسانية تحكمها الشريعة وضوابط العقيدة، وكرس الإسلام التكافل الاجتماعي والروح التعاونية بين عناصره، وحدد أولويات وآليات منهجية لذلك. ولم يلغ الإسلام الطبقات الاجتماعية، على عكس ما يذهب إليه البعض اليوم، وأعتبر أن وجود الفوارق في الرزق بين البشر من حكم الله في خلقه، الهدف منه تكريس روح الطموح وحافز السعي نحو تحسين المستوى المعاشي للبشر. وورد في الذكر الحكيم (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)[١٤].

ولكن لم يصاحب إقرار الإسلام بالطبقات الاجتماعية، وبالتفاوت الطبقي، أي إقرار بالممارسة الشاذة عن الزهد والتعقل في الإسراف، والتواضع ويشمل ذلك حتى أصحاب الأموال الذي رفض لهم ممارسة كنزها. وقد ورد في الذكر الحكيم نقد لاذع لمن يسلك منهم ذلك المنهج اللاأخلاقي في الممارسة المعمارية: (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ. وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ. وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ)[١٥].

ويمكن اعتبار الغناء المادي بالمفهوم الإسلامي امتحاناً أخلاقياً للإيمان، أكثر من كونه مدعاة للتفاخر والخيلاء الذي هو إحدى صفات أهل البادية، والذي نجد له ممارسة حتى في أيامنا هذه. ويرد في قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)[١٦].

وإذ نلاحظ بما يخص الممارسة المعمارية في المجتمعات الإسلامية بأن هيئة البيوت، فضاءاتها وملكاتها

مسجد گوهر شاد في مدينة مشهد

المساحية والتقنية، لا تحمل تلك الفوارق الطبقية الشاسعة، مثلما هو عليه في المجتمعات والثقافات الأخرى. ويكمن كبير الفرق في الجانب التزويقي والجمالي، والتجهيزي للبيوت.

ويمكن اعتبار ابن قتيبة من أوائل من دعا إلى (النورم) في العمارة، حيث وصف الدار بالقميص، فحيث يخاط القميص حسب مقاس صاحبه، كذلك يبنى البيت حسب مقياس ساكنه، وبهذا يُعَدُّ ابن قتيبة أول من تحدث عن المقياس الإنساني (Scale Human) في العمارة الإسلامية، وهو منحى للزهد في جوهره، تواجد بقوة في حداثة عمارة القرن العشرين.

ولم يعمر ذلك المنحى الزاهد طويلاً، فبعيد عصر الخلافة الأول حيث نقل بعدها بنو أمية عاصمة الدولة إلى دمشق ثم أثروا حياة الترف وتأثروا بطابع الحياة البيزنطية المتماشية مع هذا المنحى ثم اتخذوا مما يناسبهم من العمارة السورية ـ البيزنطية منهجا للخيلاء وممارسة ملذات العيش. ويقال عن (الوليد بن عبد الملك) الأموي أنه أنفق جباية الضرائب على الأراضي الشامية لمدة سبع سنوات لبناء المسجد الكبير في دمشق. وبذلك انحرفوا بالسير الزاهد المرسوم من قبل السلف.

وعلى عكس تلك النزعة فقد ورد في ممارسة الزهد من أخبار الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز أنه أستكثر البذخ الذي أشيد به مسجد دمشق الجامع، حيث نقل عن صفوان بن صالح قال (سمعت عمر بن عبد العزيز، وذكر مسجد دمشق، فقال رأيت أموالاً أنفقت في غير حقها، فأنا مستدرك ما استدركت منها، فأرده إلى بيت المال: أعمد إلى ذلك الفسيفساء والرخام، فأقلعه وأطينه، وأنزع تلك السلاسل وأجعل مكانها حبالاً، وأنزع تلك البطائن. وأبيع جميع ذلك).

وخلف العباسيون الأمويين، وساروا على نفس النهج وزادوا فيه حينما تأثروا بالحياة الساسانية والعمارة الصرحية العراقية، كما هي صريحة في عمائر سامراء الباقية. وبذلك غيروا في جوهر الحياة الإسلامية ونقلوها إلى روح جديدة من البذخ والأبهة والخيلاء، غير المشابهة لما كان سائداً خلال سنين الإسلام الأولى، ولاسيما فيما يتعلق بمتاع الدنيا من الملبس والمأكل وأنعكس صريحاً خلال العمارة والفنون.

الزهد والتصوف

ثمة تداخل بين الزهد والتصوف حيث اقترن أحدهما بالآخر، ولو أن حركتي (الزهاد والصوفية) ظهرتا مترادفتين، لكن الأولى اضمحلت واختفت ومكثت الثانية حتى اليوم.

لقد تداعى شيوع البهرج ولذة العيش والترف المبالغ إلى ردة فعل سلبية في نفوس بعض المؤمنين، آثر البعض على أثرها الانقطاع بعيداً عن مجرى هذا السيل الجارف، بما يشبه الاعتزال والوحدة، أو الانقطاع عن الدنيا والإعراض عن ملذاتها. وقد لقى الأمر صداه في بعض نفوس الذين شكلوا الرعيل الأول لحركة التصوف في الإسلام. ثم اتخذت هذه الحركة منهجاً ومنحى فكرياً تطبيقياً

أصولياً بحتاً، باحثين عن جذور النقاء الروحي. وهي نزعة لها جذور في الثابت الثقافي المحلي للبيئة العراقية نجد تلميحات صريحة لها في نصوص ملحمة كلكامش السومرية. وقد اعتبر المتصوفة الرسول الكريم ﷺ أول من مارس الصوفية واعتبر لجوؤه لغار حراء تجسيداً لحالة الانقطاع التي يسعون لممارستها وتبريرها. وهكذا أمست سيرته الشريفة والممارسات الزاهدة في العمارة التي طبقها في مسجده، منهاجاً أخلاقياً لمبانيهم.

وجذوة النفس نحو النقاء والبساطة ودحض البهرج الدنيوي ومؤآثرة التقوى والتقشف والزهد والإعراض عن الثروة والجاه في الفكر الصوفي، هي حالة تجسد الرغبة في إيجاد الصلة بين الخالق والمخلوق والانطلاق الروحي إلى الأعلى. ولهذه الفلسفة جذور فكرية سابقة للفكر الإسلامي تأثر بها من قبيل العرفانية (الغنوصية) البابلية[١٧]، والنصرانية والمانوية[١٨] ثم التأثيرات الهندية والبوذية وربما الثيوصوفية اليونانية. لقد وردت في البوذية وبنفس الصيغة، حتى أن الشخص المنتسب إلى جماعتها نعتت باسم (بونز Bonz) التي تعني (الفقير) بالعربية أو (الدرويش) بالتركية، أو كما في المسيحية بصيغة الرهبان والنساك والمتقشفين المنقطعين عن الدنيا.

وتكرست تلك النزعة الى الزهد والتواضع في بناءات الديار ولاسيما (الزوايا) التي هي دور متعددة الوظائف جمعت بين العبادة والإقامة والإنتاج والمرابطة، واستعملت كذلك كمحطات لتوقف القوافل العابرة (خانات أو قوافل). وهنا نرصد قرب الحلول المعمارية للدير المسيحي (المانستير) مع (الزوايا) الصوفية. وكان يؤمها الشيوخ (المرابطون) ومريدوهم (الطلبة) ولاسيما في الجبال والصحارى والثغور وتخومها. ونجد خير الأمثلة موجودة في الصحراء الكبرى في المغرب الإسلامي. ونجد صوراً لها في الجزائر من خلال لوحات الانطباعي الفرنسي (ن . ديني)[١٩].

واحتفظت الصوفية بتسمية المرابطة وليس صفتها، ونظام دار الصوفية الذي أمسى زاوية في المغرب وخانقاه أو التكية في المشرق العثماني، مأخوذ أصلاً من الربط حيث كان يؤهل فيها المرابط دينياً وروحياً بجانب التدريب العسكري تماشياً مع قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[٢٠] وظهر الرباط قبل الزاوية و مسقطها المعماري لا يختلف عن مسقط المدرسة إلا انه في بعض الأحيان تعمل فيه الخلوات على حدة لغرض الانقطاع، والتعبد في جناح منفصل وذلك إذا اجتمعت المدرسة والخانقاه في مجمع واحد.

والخانقاه كلمة فارسية مركبة (خانكاه) ومعناها (دار التعبد). وقد أقيمت أول خانقاه في الإسلام عام (٤٠٥ هـ/ ١٠١٠م) إلا انه قبل ذلك بكثير أقام زيد بن صبرة في البصرة في عهد الخليفة عثمان بن عفان أول مسكن لإقامة بعض المسلمين بغرض التفرغ للعبادة. ولا يعرف الشكل الأول لهذه المباني التي انتشرت بعد ذلك عبر العالم الإسلامي.

وفي النصف الأول للقرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي، ألحْق المدفن ببناء الخانقاه، وانشأ السلاجقة مجموعة من الخوانق في الموصل ومدن سوريا. وقد أدى ارتباط التصوف مع المذهب الشافعي ثم بالمذهب الحنفي الى الانتشار السريع خارج إيران التي وجد التشيع فيها مكاناً راسخاً، ولم تعد مرتبطة بالتشيع بعدها، وأصبحت مثل التشيع محل هجوم الفكر السلفي، وانتشرت في الجناح الغربي للعالم الإسلامي (ذي الغالبية المالكية) أكثر من مشرقه، ومازالت الطرق الشاذلية والعيساوية والقادرية منتشرة هناك.

لقد اتخذت العمارة الصوفية ولاسيما في خانقاوات المولوية التابعة لطريقة المولى جلال الدين الرومي[٢١] في قونية في آسيا الصغرى، الطرازين التركيين السلجوقي ثم العثماني. وبعد المولوية انتشرت الطرق البكداشية[٢٢] والدمرداشية[٢٣] التي اتسع نطاقها في آسيا الوسطي إلى البلقان، وامتدت حتى وصلت السودان ومصر. وتلك المباني تأثرت بطرز العمارة التركية التي جاءت بالبناء الصرحي والمغالاة في الزخرف والألوان والتغطية بالقاشاني والقباب الباسقة المخروطية، وبذلك تقّربت إلى عمارة السلاطين وبذخها، ولاسيما بعد أن اتخذت الطريقة البكداشية منهجا للجيش الانكشاري الساند لعرش السلطان العثماني وغزواته.

أما من الناحية المنهجية فقد انحرفت الصوفية عن المبدأ الذي وجدت بسببه واتخذت منحى جديداً مرتبطاً بالمعجزات والكرامات وخوارق الأمور والتي وجدت هواها

مقام جبرائيل في مسجد الكوفة

لدى نفوس العامة الباحثة عن ملموس الظواهر الإيمانية.

وأقيمت هكذا القبور الصرحية للأولياء، وأمها العامة للتبرك بها، أو تيمناً بحمايتها لهم ولمدنهم وحقولهم وبذلك أخذت عمارة الصوفية تتجه نحو العناية بالقبور وعمارتها. ويجدر ذكر حقيقة أن انتشار الطرقية وفكر التصوف (الجديد) قد تزامن بشكل عجيب مع بواكير حقبة التخلف في كل مناحي الحياة الإسلامية منذ القرن العاشر الهجري ـ السادس عشر الميلادي. ولم تعد الصوفية اليوم دعوة للزهد في الدنيا والانقطاع عن ملذاتها وتكرس حالة من القطيعة مع بهرجها ولاسيما في العمارة، بقدر ما أمست حالة روحانية وطقوس مجردة وتجمعات فرقية، تمارس العبادات على طريقتها ■

التتمة في العدد القادم

---

(١) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص٢١٠.
(٢) بطرس البستاني، قطر المحيط.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٠.
(٤) رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد.
(٥) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، مخطوطة مليت، اسطنبول (المجلد الرابع رقم ١٥٢١).
(٦) تاريخ الطبري، المجلد٣، ص٢٧٦.
(٧) عن نهج البلاغة، للشريف الرضي، مجلة الفيصل، ص٥٦، العدد ٣١٣٠ سبتمبر ٢٠٠٢م.
(٨) العقد الفريد، ابن عبد ربه، ج٢ ص١٢٠.
(٩) ابن قتيبة، عيون الأخبار.
(١٠) مقدمة إبن خلدون، ص٣٠٤.
(١١) أبن رجب، جامع العلوم والحكم ص٢١١.
(١٢) حديث نبوي شريف رواه مسلم والترمذي وابن ماجه والإمام أحمد.
(١٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٧ .
(١٤) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.
(١٥) سورة الزخرف، الآية: ٣٣ ـ٣٥.
(١٦) سورة الملك، الآية: ٢.
(١٧) تسمى كذلك الأفلاطونية الجديدة، وشرع بصياغتها آخر ملوك بابل (نبونيد) بعد سقوطها ٥٣٩ ق.م، حينما أعتكف في واحة تيماء في الجزيرة العربية، وبثها أتباعه في الشام والعراق وآسيا، والإسكندرية وشمال أفريقيا.
(١٨) المانوية دعوة دينية ظهرت جاء بها ماني المولود في بابل عام ٢١٥م، والمصلوب عام ٢٧٦م من قبل بهرام أبن هرمز ملك الفرس، وهي خليط من عدة فلسفات وعقائد، كرست الزهد والتقشف في العيش. وقد بقيت حتى نسخها الإسلام.
(١٩) الرسام الانطباعي الفرنسي نور الدين ديني الذي أشهر إسلامه وعاش ممنونا في أواصر حميمة مع إتباع إحدى الطرق الصوفية (المرابطين) في قرية (بو سعادة) الواقعة على تخوم الصحراء في الجزائر الوسطى في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.
(٢٠) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠ .
(٢١) جلال الدين الرومي، ويطلق عليه مريدوه (مولانا). هو شاعر وفيلسوف ومن ثم صوفي كبير فارسي ولد في مدين بلخ في خراسان عام ١٢٠٧م ومات في قونية في تركيا عام ١٢٧٣م واستحدث في طريقته طقس الرقص والدوران بالتنورة والقلنسوة الحمراء، التي يمارسها مريدوه في تركيا ومصر والبلقان واسيا الوسطى.
(٢٢) الطريقة البكتاشية أسسها الحاج بكتاش ولي (١٢٠٩م-١٢٧١م) في إنطاكية في آسيا الصغرى. وتجد لها اليوم المريدين في الآسيتين الصغرى والوسطى أكثر مما في البلاد العربية مثل مصر وسوريا. وفي مصر بثها الشخصية التركية الأسطورية (قايغوسز) الذي أبدلوا اسمه المصريون باسم سيدي عبد الله المغاوري.
(٢٣) هي إحدى فروع الطريقة الخلواتية، أسسها محمد دمرداش المحمودي، عام ١٥٢٢م.

مرقد العلامة الشيخ أحمد بن فهد الحلي

سلمان هادي آل طعمة •

تمهيد

اشتهرت مدينة الحلة الفيحاء بتنوع آثارها في مجالات الثقافة عموماً وفي مجال العلوم الدينية خصوصاً، يظهر ذلك في كثرة مدارسها ومساجدها التي أعدت للعبادة والدراسة طيلة الفترة بين القرن الخامس إلى التاسع الهجري، حيث كانت عاصمة للعلم.

ونظرة فاحصة لكتاب (البابليات) للشيخ محمد علي اليعقوبي بأجزائه الأربعة، وكتاب (فقهاء الفيحاء) للسيد هادي كمال الدين، و(شعراء الحلة أو البابليات) للشيخ علي الخاقاني وغيرها، تغنيك عن شهرة هذه المدينة وما أنجبته من الأعلام العظام، ولعل من أشهر الذين أنجبتهم الحلة هو العلامة الجليل الشيخ أحمد بن فهد الحلي الأسدي فقيه الشيعة وأحد أساطين العلم في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، تلك الشخصية المتميزة بسعة افقها العلمي ومواقفها المشهودة والكرامات المنظورة، فقد

صورة حديثة لمرقد العلامة ابن فهد الحلي

كان جامعاً للآداب حاوياً للكرامات الظاهرية والباطنية، مُلماً بالمعارف العقلية والنقلية، فقد ولد سنة (٧٥٧هـ) وتوفي سنة (٨٤١هـ)[1].

والشيخ أحمد بن فهد عاش في الحلة ثم انتقل إلى كربلاء وبناءً على وصيته دفن بالقرب من مخيم سيد الشهداء عليه السلام في بستان تسميه العامة ببستان ابن فهد، حيث جعل منزله ذاك وقفاً للزوار، وقد شيد الشاه عباس الصفوي مسجده في سنة (١٠٣٢هـ) وغطى حائطه بالكاشي وشيد مدرسته الخاصة بالعلوم الدينية.

أقوال العلماء فيه

ذكره سيدنا الأمين في موسوعة (أعيان الشيعة) فقال: في أمل الآمل عالم فاضل ثقة صالح زاهد عابد ورع جليل القدر، وفي (تكملة الرجال) وصفه الحر بكونه صدوقاً، وفي (رياض العلماء) العالم الفاضل الفهامة الثقة الجليل الزاهد.

وله قدس سره ميل إلى مذهب الصوفية وتفوه به في بعض مؤلفاته. وظاهره أنه لم يجعل ذلك غمزاً فيه، وفي (لؤلؤة البحرين) فاضل عالم فقيه مجتهد

زاهد عابد ورع تقي إلا أن له ميلاً إلى مذهب الصوفية بل تفوه به في بعض مصنفاته[٢].

صفاته

يذكر أرباب التاريخ أن الشيخ أحمد كان فقيهاً ورعاً زاهداً مشهوداً بكثرة العبادة والخشوع والتهجد في الأسحار، يمارس دوراً اجتماعياً بارزاً ويقيم الحدود ويحارب البدع والضلالات كما كان أنموذجاً طيباً في كل صفة أخلاقية حميدة.

مشايخه

تروي لنا المصادر المتوفرة بين أيدينا ومنها كتاب (الروضة البهية) أنه يروي عن تلامذة الشهيد كالشيخين المذكورين في السند قال بعض الأفاضل وقد رأيت على آخر بعض النسخ الأربعين للشهيد منقولاً عن خط ابن فهد المذكور ما صورته هكذا حدثني بهذا الحديث الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو الحسن علي بن الشيخ الإمام الشهيد أبي عبد الله شمس الدين محمد بن مكي جامع هذه الأحاديث بقرية جزين في اليوم الحادي عشر من شهر محرم الحرام افتتاح سنة أربع وعشرين وثمان ومائة أجازني روايتها بالأسانيد المذكورة ورواية غيرها[٣].

لقد ظهرت لنا في كل مرحلة من مراحل حياته قوة شخصيته، ومكانته السامية. قال المجلسي: أنه من تلامذة علي الجزائري ويروي بالإجازة عن السيد جمال الدين بن الأعرج العميدي، ولذا فقد اجتمعت فيه المآثر الحسنة، ونال المكانة التي يستحقها بين علماء عصره، وأصبح موضع تقديس واحترام لدى كافة المسلمين، يجلونه ويشيدون بفضله ومزاياه.

تلامذته

مما يجب أن يشار إليه أن الشيخ أحمد يروي عنه كل من الشيخ عز الدين حسين بن علي بن أحمد المعروف بابن عشرة الكركي العاملي والشيخ ظهير الدين بن علي بن زين العابدين العاملي والشيخ زين الدين علي بن هلال الجزائري صاحب (كتاب الدر الفريد في التوحيد) والشيخ علي بن عبد الواحد الكركي والشيخ عبد السميع الحلي والسيد محمد بن فلاح الموسوي وغيرهم[٤].

انتقال الحوزة العلمية إلى كربلاء

إن أي متتبع لأحداث التاريخ يعلم أن شيخنا المترجم شخصية علمية موهوبة، تتميز بسعة أفقها العلمي ومواقفها المشهودة، فهو الذي نشر المعرفة في أوساط رفيعة وارجاء فسيحة، وعندما قصد كربلاء أسس فيها نهضة علمية بحيث انتهت إليه رئاسة العلم والتدريس والإفتاء والمناظرة، وازدهرت الحوزة بالمئات من روادها من طلبة العلم والمعرفة والفقهاء الذين وفدوا عليها من مختلف الأقاليم الإسلامية كإيران والهند ودول آسيا الوسطى (داغستان، أذربيجان، طشقند) وغيرها من المناطق الإسلامية[٥].

وقد أشار الرحالة الطنجي ابن بطوطة

في رحلته إلى كربلاء سنة (٧٢٦هـ) إلى وجود مدرسة عظيمة وزاوية كريمة إلى جانب الضريح الحسيني وذلك بقوله: (وعليها مدرسة عظيمة وزاوية كريمة فيها الطعام للصادر والوارد... الخ) ومن هنا يتبين لنا دور المرجعية الدينية في عصر الشيخ أحمد بن فهد ونشاط الحركة العلمية في كربلاء إبان تلك الفترة، فأصبحت بذلك مركزاً للمرجعية الدينية ومحط رحال الفضلاء ومحجة العلماء وطلاب العلم.

كراماته

تحفل سيرة العالم المجاهد الشيخ أحمد بن فهد الحلي بصفحة جديدة أخرى يتبين لنا من خلالها أن الشيخ كان صاحب كرامات مشهورة ومناظرات مع أرباب المذاهب الأخرى، يتناقلها الرواة من جيل إلى جيل، ومن أشهر هذه الكرامات التي تنسب إلى هذا الشيخ الجليل أنه كانت تفتح له باب قبلة الإمام الحسين عليه السلام

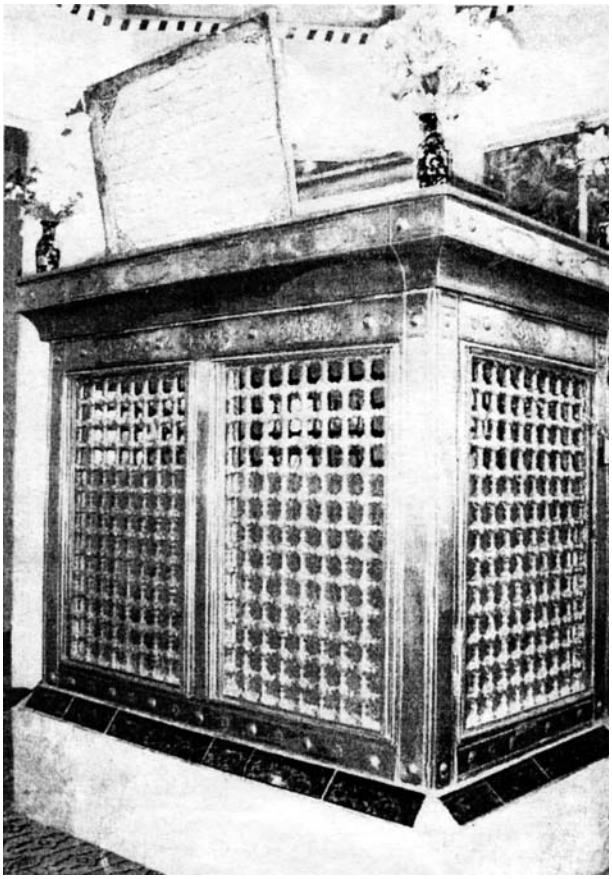

صورة قديمة لضريح العلامة ابن فهد الحلي

بمجرد رفع يديه للدعاء في كل وقت فجر لأداء فريضتي الصلاة والزيارة، ومن كراماته عليه الرحمة شفاء السقيم بإذن الله وإغاثة الملهوف ومن كانت له حاجة أو كان في ضيق أو حرج، والكرامة المنسوبة إليه المشهورة بين أهالي مدينة الحلة وهي أنه كان يكد على نفسه وعياله من ناتج بستانه الخاص.

فبينما هو في بعض أيامه يعمل في الزراعة، دخل عليه حاقد من علماء اليهود مع ثلة من أتباعه وقال مستفسراً: أأنتم المسلمون الذين تدعون أن علماء أمتكم كأنبياء بني إسرائيل؟ يشير بذلك إلى الحديث النبوي المعروف، قال له الشيخ ابن فهد: نعم، قال اليهودي: وبأي دليل؟ سأله الشيخ: وأي دليل تريده أنت؟ أجابه اليهودي: أن نبينا موسى بإعجازه قد حوّل العصا إلى ثعبان، فأنت ماذا تفعل؟ وكان واقفاً وبيده المسحاة فألقى المسحاة على الأرض فتحولت إلى ثعبان عظيم

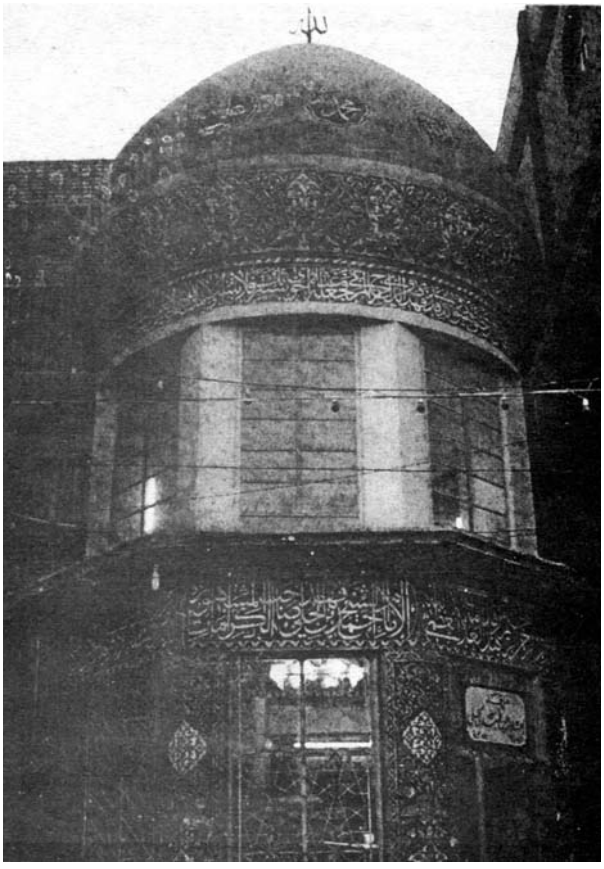

صورة قديمة لقبة صاحب الكرامات ابن فهد الحلي

استوحش اليهودي مع كان معه لهذا المنظر. حينذاك توجه الشيخ إلى هذا العالم اليهودي وقال حتى الآن كنت كأنبياء بني إسرائيل، لكن من فضل الله علينا هو أن موسى حينما خاطبه الباري سبحانه وتعالى قائلاً: (لا تخف) أي خذ الثعبان بيدك فسنعيده إلى عصا تارة أخرى، فإنه تردد ووجل لكني كما ترى من دون خوف سآخذ الثعبان بيدي وبالفعل مدّ يده وأمسك الثعبان فرجع إلى مسحاة ثانية كحالته الأولى[٦].

مناظراته

يحدثنا التاريخ أن العلامة الشيخ ابن فهد كان في الجدل قديراً وفي النقاش متمكناً، وله مناظرات علمية جادة ناقش بها علماء السنة بحضور الأمير اسبند اسبان وهو أمير العراق آنذاك، وكان سبباً لهدايته إلى مذهب التشيع، حيث ألقى الأمير بعد ذلك خطبة الجمعة باسم أمير المؤمنين وأولاده المعصومين ضرب باسم الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام، وقد وقعت تلك المناقشة عام (٨٣٦هـ) وذلك بعد أن سقطت الدولة الجلائرية باحتلال الأمير اسبان للحلة في ذلك العام[٧].

تصانيفه

من الحقائق الثابتة التي لا جدال فيها أن الشيخ أحمد كان قد عرف بسرعة الحافظة وقوة الفهم والإدراك ودراية بالفقه والشريعة النبوية، وكان نشاطه يتجلى بتأليف الكتب، فقد ألف وصنف كتباً كثيرة جاوزت العشرين كتاباً[٨]. وفيما يلي بعض تصانيفه:

عدة الداعي ونجاح الساعي، المهذب البارع في شرح المختصر النافع، الدر الفريد والتحرير، التحصين، اللمعة الجلية، استخراج الحوادث، أسرار الصلوات، تاريخ الأئمة، تعيين ساعات الليل وتشخيصها بمنازل القمر، مصباح المبتدي وهداية المهتدي، المقتصر في شرح إرشاد الأذهان، الموجز الهادي، وكتب ورسائل أخرى[٩].

وفاته

لقد ظل العلامة الشيخ أحمد يرفد الساحة العلمية بآرائه السديدة وأفكاره المفيدة إلى أن رحل عن هذه الدنيا الفانية سنة (٨٤١هـ) وهو ابن (٨٥) سنة من العمر بمدينة كربلاء وقيل كان عمره (٥٨) سنة[١٠] ودفن في المكان الذي يتواجد فيه قبره الآن حسب وصيته، علماً بأنه كان قد اشترى في هذه المنطقة بستاناً اتخذه مسكناً، ثم رحل في غيبته الكبرى نحو الأبدية، ووري جثمانه الطاهر هناك بالقرب من باب قبلة سيدنا الإمام الحسين عليه السلام.

مرقده

على بعد (٣٠٠) متر تقريباً من الروضة الحسينية وفي شارع الإمام الحسين عليه السلام يشمخ مرقد العلامة ابن فهد الحلي متألقاً بهندسته وقدسيته، وكانت تحيطه بساتين النخيل، ولذا عرفت المنطقة المحيطة به ببستان ابن فهد، وكان يحيط به صحن واسع ترتفع فوق القبر قبة خضراء مخروطية الشكل مكسوة بالكاشي الكربلائي، وتتمثل بها روعة الفن في الزخرفة الإسلامية.

إن المرقد الشريف كان قبل أن تمتد

إليه يد الهدم، رحب الفناء واسع الأرجاء رصين البناء، غير أن البناء تعرض إلى انهيار وأصبح شبه مهجور، ولكن سرعان ما تنبه إلى إحيائه، لكننا لا نعرف بالضبط تاريخ بناء هذا المزار.

كان التجديد الأول لهذا البناء سنة (١٣٥٨هـ)، أما التجديد الثاني له فقد تم على نفقة جمع من أهل الخير والصلاح، فقد جمعوا مبالغ كافية لبناء المرقد وعلى رأس هؤلاء آية الله العظمى السيد محسن الطباطبائي الحكيم والسيد عبد الحسين البهبهاني والحاج علي الكربلائي والحاج حبيب القهواتي والحاج صاحب الباججي وذلك في سنة (١٣٨٤هـ).

يوجد في الجهة الأمامية من المرقد مصلى واسع مشيد الأركان، وفيه محراب يتكون من بلاطتين مستطيلتين من القاشاني، وتحيط بالمحراب زخارف ونقوش نباتية وكتابية بارزة، على يمين الداخل توجد غرفة اتخذت مقراً لتدريس العلوم الدينية وتعليم الفنون العقلية والنقلية، وقد درس في هذه المدرسة جمع من الأفاضل وأساتذة العصر، كما

مرقد العلامة ابن فهد الحلي

توجد أربعون غرفة مختلفة الأحجام تقع في الطابقين السفلي والعلوي اتخذ البعض منها مسكناً لإيواء الطلاب، ويحيط بالقبر صحن مكشوف كان فيه حوض ماء كبير (كُر) يستخدم للوضوء، وتتوسطه نافورة.

وقد احتوت المدرسة على مكتبة عامة تعرف باسم (مكتبة الرسول الأعظم) بلغ عدد كتبها اثنين وعشرين ألف كتاب في مختلف العلوم والفنون.

كما أجريت صيانة لبناية المرقد من الداخل والخارج لكي يظهر المرقد بحلته الجديدة بين مراقد الأولياء والصالحين، معلماً من معالم المدينة فيمثل الوجه الحقيقي والروحي والحضاري لمدينة كربلاء.

وصف المرقد الخارجي

يرتفع المرقد عن مستوى الرصيف بما يزيد على نصف متر، والجدار الخارجي للمرقد مغلف بالكاشي الكربلائي، تحيط به إطارات من الكتابة بخط النسخ بالبارز، وهي آيات من الذكر الحكيم، ويشكل الجدار بالأعمدة تصل بين واحدة وأخرى نافذة حديدية مزججة، وعدد من النوافذ الخمسة.

تعلو هذا الجدار قبة مغلفة بالكاشي الكربلائي، وما بين القبة والجدار لوحة تؤرخ ولادة ووفاة صاحب المرقد ومنقبة من مناقبه التي أقنع بها سلطان الفرس بأن جوهر الإسلام هو التشيع، فاقتنع السلطان وأصحابه.

وصف المرقد الداخلي

يتوسط المرقد اليوم ضريح مشبك من النحاس بطول (٥، ١) متر وعرض متر واحد وارتفاع (٧) متر عن سطح الأرض والضريح مكون من صندوق خاتم خشبي مُغطى بشال أخضر كما هو الحال في بعض المراقد الأخرى، ويتصل بالمرقد طارمة مسقفة بطول (٦) متر وعرض (٥، ٣) متر، وقد اتخذت هذه المساحة البالغة (٥١) متر مربع كمصلى.

أما الحرم فهو مؤطر بالكاشي الكربلائي وعليه آيات كريمة من القرآن الكريم، وتحيط بالقبر خمسة نوافذ حديدية مزججة مطلة على الشارع. أما المواد المستعملة في البناء هي الأسمنت والطابوق، ولا يزال البناء قائماً غير أنه اليوم منفصل عن المدرسة العلمية، وهو تابع لديوان الوقف الشيعي فرع كربلاء، يزوره الوافدون والزوار، وله في قلوب الصالحين حرمة عظيمة ■

---

(١) روضات الجنات، السيد محمد باقر الخونساري، ج١ ص٧١.
(٢) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج١٠ ص٨٠.
(٣) الروضة البهية، السيد شفيع الجابلاقي، ص١٠٨.
(٤) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج١٠ ص٨٠.
(٥) نبذة عن حياة العلامة ابن فهد الحلي، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، ص٤.
(٦) خلق الأعلام، محمد جواد البستاني، ص١٧٣ و١٧٤.
(٧) نبذة عن حياة العلامة ابن فهد الحلي، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، ص٧.
(٨) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج١٠ ص٨١.
(٩) المصدر السابق.
(١٠) مراقد المعارف، الشيخ محمد حرز الدين، ج١ ص٧٦.

أجوبة مسابقة العدد (١٥) وأسماء الفائزين

السؤال الأول: ب. ١٢٠،٠٠٠

السؤال الثاني: ب. سعد بن عبادة

السؤال الثالث: ب. الشيخ المفيد

السؤال الرابع: ج. ١٨ جمادى الثانية ١٣٨١

السؤال الخامس: أ. غزوة تبوك

السؤال السادس: ج. الربذة

السؤال السابع: أ. ولدان وبنت واحدة

السؤال الثامن: ب. زيد بن صوحان

السؤال التاسع: ب. الأنوار القدسية

الفائزة بالجائزة الأولى: ندى چخيم ياسين / النجف ـ الكوفة.

الفائزة بالجائزة الثانية: حنين حسين مطشر / بغداد ـ مدينة الصدر.

الفائز بالجائزة الثالثة: محمد كاظم محيي الدين / النجف الأشرف.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

مسابقة العدد (١٧)

١ نظر رسول الله ﷺ في أصحابه فأشار لرجل منهم وقال: «يدفن عند القسطنطينية رجل صالح من أصحابي» فمن يكون؟

أ ـ أبو اليسر بن عمرو

ب ـ أبو أيوب الأنصاري

ج ـ خزيمة بن ثابت

٢ عالم أشهر ألقابه (أمين الإسلام)، أصابته السكتة، فظنوا به الوفاة فجهزوه ودفنوه، فأفاق فنذر لله نذراً إن خلصه يؤلف كتاباً في تفسير القرآن. فمن هو؟

أ ـ الفضل بن الحسن الطبرسي

ب ـ الحسن بن الفضل الطبرسي

ج ـ أحمد بن علي الطبرسي

٣ **مطهرون نقيات ثيابهم**
تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
من لم يكن علوياً حين تنسبه
فما له في قديم الدهر مفتخر

أبيات قالها شاعر بحضرة أحد الأئمة الأطهار، فأي إمام كان؟

أ ـ الإمام الكاظم عليه السلام

ب ـ الإمام الرضا عليه السلام

ج ـ الإمام الجواد عليه السلام

٤ محمد بن مكي العاملي الشهيد الأول، أول من اشتهر بهذا اللقب عند الإمامية، حبس في القلعة الدمشقية فألف كتابه (اللمعة) ثم قتل ظلماً سنة ٧٨٦هـ فكم سنة استمر حبسه؟

أ ـ سنتان

ب ـ سنة ونصف

ج ـ سنة واحدة

كوبون مسابقة

ينابيع

العدد (١٧) ربيع١ ـ ربيع٢ ١٤٢٨هـ

	أ	ب	ج
جواب السؤال الأول			
جواب السؤال الثاني			
جواب السؤال الثالث			
جواب السؤال الرابع			

٥ مصادر نهج البلاغة كتاب بذل مؤلفه جهداً بارزاً في إثبات المصادر المدعمة لنهج البلاغة، فمن هو المؤلف؟

أ ـ السيد مرتضى العسكري

ب ـ السيد عبد الزهراء الحسيني

ج ـ السيد حسن الصدر

٦ أغار القرامطة على الحجاج ودخلوا المسجد الحرام أيام الموسم وقتلوا خلقاً كثيراً. ففي أي سنة حدث ذلك؟

أ ـ ٣١٧ هـ

ب ـ ٣٢٧ هـ

ج ـ ٣٣٧ هـ

٧ سلار بن عبد العزيز الديلمي فقيه جليل معظم مصنف، من تلامذة الشيخ المفيد والسيد المرتضى، له عدة تصانيف منها..

أ ـ المراسم

ب ـ السرائر

ج ـ المقنعة

٨ مسجد الجن من المساجد الموجودة في مكة المكرمة، يروى أن الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله فيه، وله اسم آخر. فما هو؟

أ ـ مسجد الإجابة

ب ـ مسجد البيعة

ج ـ مسجد قبا

٩ خلّف الإمام الهادي عليه السلام بعد وفاته ذرية من بنين وبنات، فكم كان عدد البنين فقط؟

أ ـ ٤ أولاد

ب ـ ٥ أولاد

ج ـ ٦ أولاد

	أ	ب	ج
جواب السؤال الخامس			
جواب السؤال السادس			
جواب السؤال السابع			
جواب السؤال الثامن			
جواب السؤال التاسع			

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثانية: ٥٠،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثالثة: ٢٥،٠٠٠ دينار.
يتعين الفائز بعد إجراء القرعة.

شروط المسابقة

* **الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط.**
* **يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة.**
* **آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/جمادى٢/١٤٢٨هـ.**